جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

من التراث المخطوط للإمام الغزالي

ثلاث رسائل فى المعرفة لم تنشر من قبل

تحقيق وتقديم وتعليق

الأستاذ الدكتور
محمود حمدى زقزوق

الطبعة الثانية

القاهرة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

من التراث المخطوط للإمام الغزالي

ثلاث رسائل في المعرفة لم تنشر من قبل

تحقيق وتقديم وتعليق

الأستاذ الدكتور
محمود حمدي زقزوق

الطبعة الثانية
القاهرة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

الغزالى، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى، ١٠٥٨ ـ ١١١١.
من التراث المخطوط للإمام الغزالى: ثلاث رسائل فى المعرفة لم تنشر من قبل / للإمام الغزالى ؛ تحقيق وتقديم وتعليق محمود حمدى زقزوق .ـ ط ٢ .ـ القاهرة : وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ٢٠٠٩.
١٢٤ ص ؛ ٢٤ سم.
١ ـ التصوف الإسلامى.
أ ـ زقزوق، محمود حمدى (محقق ومقدم ومعلق)
ب ـ العنوان

٢٦٠

رقم الإيداع ٨٥٨٠ / ٢٠٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ... وبعد

فالإمام أبو حامد الغزالى (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ ـ ١٠٥٨ ـ ١١١١م) من كبار المؤلفين الإسلاميين الذين أثرت مؤلفاتهم المكتبة العربية الإسلامية بتراث غزير متعدد الجوانب، ولهذا التراث مكانة كبيرة فى النفوس، وقد مارس ولا زال يمارس تأثيرًا عظيمًا فى أوساط المسلمين فى كل بقاع العالم الإسلامى.

وقد اهتم الباحثون فى الشرق والغرب بتراث الغزالى وعكفوا منذ زمن طويل على دراسته، وصدرت حوله الدراسات الكثيرة ممثلة فى مئات الكتب وعشرات الرسائل الجامعية والبحوث الأكاديمية. وترجم الكثير من مؤلفاته إلى العديد من اللغات الأجنبية.

وعلى الرغم من أن تراث الغزالى المطبوع تراث وفير فإنه ما زالت توجد هناك فى شتى أنحاء العالم مخطوطات كثيرة منسوبة إلى الإمام الغزالى، تنتظر من يقوم بتحقيقها ونشرها.

وإسهامًا منا فى الكشف عن تراث الغزالى الذى لا يزال حبيسا فى بطون المخطوطات نقوم اليوم بعمل متواضع فى هذا المجال، وذلك بتقديم ثلاث رسائل جديدة للإمام الغزالى فى المعرفة.. نقدمها إلى المكتبة العربية وإلى المهتمين بتراثنا الإسلامى بوجه عام وبتراث الإمام الغزالى بصفة خاصة.

وقد سبق أن قمنا بنشر الرسالة الأولى منها وهى (رسالة فى بيان معرفة الله) للمرة الأولى فى مجلة «منبر الإسلام»[1]. أما الرسالتان الأخريان فتنشران هنا للمرة الأولى[2].

ونحن إذ نضع نص هذه الرسائل الثلاث بين أيدى الباحثين، فإننا نأمل أن نكون قد استطعنا أن نقدم لهم نصًا صحيحًا لهذه الرسائل يكون عونًا لهم فى بحوثهم ودراساتهم عن الغزالى.

ولا يفوتنا هنا أن ننوه بالجهد الطيب الذى بذله تلميذنا النابه ـ السيد سعد الدين السيد صالح ـ المدرس المساعد بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر[3] ـ فى سبيل المعاونة على إخراج هذا الكتاب بهذه الصورة.

والله نسأل أن يوفقنا جميعا إلى ما فيه خير أمتنا..

وهو حسبنا ونعم الوكيل

د. محمود حمدى زقزوق

ربيع الآخر ١٣٩٩هـ
مـــارس ١٩٧٩م

(١) وذلك فى عدد شهر رجب من عام ١٣٩٢هـ (أغسطس ١٩٧٢م). وقد نشر النص حينذاك بدون التحقيقات والتعليقات المذكورة فى هذا الكتاب.

(٢) ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٣٩٩/ ١٩٧٩م

(٣) لقد توفى ـ رحمه الله ـ منذ بضع سنوات بعد أن وصل إلى درجة أستاذ للعقيدة والفلسفة فى كلية أصول الدين بالزقازيق.

تصدير عام

ينسب للإمام أبى حامد الغزالى عدد وفير من الكتب والرسائل يزيد على أربعمائة وخمسين مؤلفا، منها ما هو صحيح النسبة ومنها ما هو منحول.

وقد اشتغل عدد من العلماء والباحثين قديمًا وحديثًا بالبحث فى هذا الموضوع. ويجد القارئ حديث بعض المؤرخين القدامى عن مؤلفات الغزالى مجموعة فى كتاب أخرجه المرحوم الدكتور عبد الكريم العثمان عام ١٩٦١م بعنوان: سيرة الغزالى وأقوال السابقين فيه، كما يجد القارئ فى ذلك معلومات قيمة عند بروكلمان فى كتابه (تاريخ الآداب العربية)[1]، وكذلك عند بويج الذى صدر كتابه عن مؤلفات الغزالى بالفرنسية عام ١٩٥٩م، وآخر ما صدر من مؤلفات فى السنوات الأخيرة فى هذا الموضوع هو كتاب «مؤلفات الغزالى» للدكتور عبد الرحمن بدوى عام ١٩٦١م، وقد اعتمد فيه اعتمادًا كبيرًا على كل من بروكلمان وبويج.

وليس هناك من شك فى أن الجهود التى قام بها الباحثون فى القديم

(١) هذه التسمية هى الترجمة الأقرب للصواب لعنوان كتاب بروكلمان، أما ترجمة العنوان بتاريخ الأدب العربى، فغير صحيحة فضلا عن أنها ليست هى ما يقصده المؤلف. وما تضمنه الكتاب من مجالات عديدة غير الأدب العربى بمعناه الخاص شاهد على ذلك.

والحديث فى هذا السبيل تعتبر جهودا مشكورة لا يمكن الاستهانة بها أو التقليل من شأنها، ولكننا لا زلنا فى حاجة إلى تكملة لهذه الجهود، كما لا زالت تنقصنا نشرة علمية كاملة لمؤلفات الغزالى المتعددة الجوانب.

وهذا العمل يتطلب جمع صور لكل المخطوطات الموجودة لكتب ورسائل الغزالى فى مختلف مكتبات العالم سواء منها ما طبع فعلا وما لم يطبع بعد، فإنه على الرغم من أن بعض مؤلفات الغزالى قد نشرت مرارا نشرات علمية لا غبار عليها إلا أن ما يتمناه الباحث هو أن يجد بين يديه نشرة علمية كاملة لمؤلفات حجة الإسلام.

ولن يستطيع المجهود الفردى أن يقوم بتحقيق مثل هذه الأمنية، إذ إن جمع صور المخطوطات والعكوف على دراستها وتحقيقها من جديد أمر يتطلب متخصصين محيطين بكل ما نسب إلى الإمام الغزالى من مؤلفات، ناظرين إليها نظرة عميقة واعية، وناظرين إلى أحكام غيرهم على هذه المؤلفات نظرة ناقدة، فلا تؤخذ مثل هذه الأحكام على أنها قضايا مسلمة، بل تؤخذ على أنها أحكام أشخاص قابلة للصواب والخطأ، وتكون نتيجة هذه الدراسة الواعية المتأنية إخراج تلك النشرة العلمية الكاملة المرجوة.

وأذكر أن من بين توصيات مؤتمر دمشق الذى عقد عام ١٩٦١م ـ احتفالا بمرور تسعمائة عام على مولد الإمام الغزالى ـ توصية تنادى بالعمل على إخراج نشرة علمية لمؤلفات الغزالى. وقد ظلت التوصية حتى الآن مجرد توصية، ولكن مثل هذا العمل يفرض نفسه، ليس فقط بالنسبة للغزالى، بل أيضا بالنسبة لكثيرين غيره من مفكرى المسلمين، وقد عنى الأوربيون منذ وقت طويل بإصدار مثل هذه النشرات العلمية لمؤلفات مفكريهم، ولا يخفى على أحد ما تقدمه مثل هذه النشرات من عون كبير للقراء بوجه عام وللباحثين بوجه خاص.

ونعود الآن إلى الحديث عن مؤلفات الغزالى من ناحية صحيحها ومنحولها:

فإن من أهم أسباب الدس على المؤلفين من حيث نسبة مؤلفات ـ لم يكتبوها ـ إليهم يرجع فى نظرى إلى أمرين هامين:

أولاً: محاولة ترويج كتب معينة بإسناد تأليفها إلى أناس مشهورين مثل كتب السحر والعلوم السرية المنسوبة إلى الإمام الغزالى.

ثانيًا: التشويش على مؤلف ما بنسبة كتب إليه تحمل من الآراء ما يطعنه فى دينه أو خلقه ويسىء إلى سمعته.

فإذا خلا كتاب أو مخطوط من هذين الأمرين وكان ما فيه يتفق مع أفكار المؤلف المنسوب إليه ذلك الكتاب أو المخطوط، ولم تعرف نسبته إلى مؤلف آخر، فلا نرى سببا للشك فى صحة نسبته إلى ذلك المؤلف.

وإنه لمن المشكوك فيه أن يكون المؤرخون قد أحاطوا بكل إنتاج الغزالى المعروف بغزارة الإنتاج وتعدد الجوانب، فله أحيانًا رسائل قصيرة جدّا هى فى الغالب إجابة على سؤال ما.

وقد تكون هناك بعض الرسائل التى لم يكتبها الغزالى بنفسه، بل أملاها على أحد تلاميذه فى مجلس من مجالسه، ولم يعد النظر فيها ، أو لم يملها أصلا، بل قام بعض تلاميذه بتدوينها اعتمادا على ما كان يقوله فى مجالسه العلمية، ومن هنا نفهم لماذا لم تنتشر مثل هذه الرسائل، فربما احتفظ التلميذ أو صاحب السؤال لنفسه بالرسالة التى تحمل الإجابة على سؤاله ، فأدى ذلك إلى عدم ذيوعها وانتشارها.

وبعد هذا التمهيد العام ـ نقدم فيما يلى ـ لكل رسالة من الرسائل الثلاث على حدة ثم نتبع التقديم بنص كل رسالة.

الرسالة الأولى

رسالة فى بيان معرفة الله

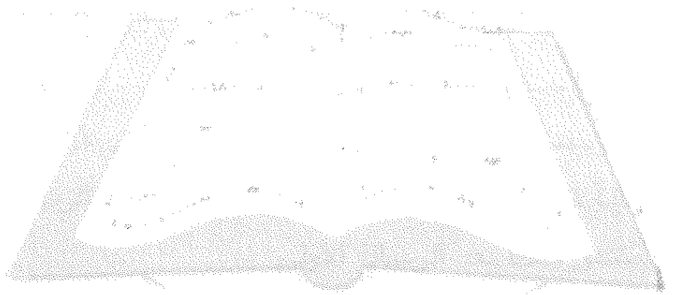

الرسالة الأولى

رسالة فى بيان معرفة الله

تمهيد

اعتمدنا فى نشرنا لرسالة الغزالى (فى بيان معرفة الله) على مخطوطة موجودة فى مكتبة جامعة ليدن بهولاندا تحت رقم: Or. 177 (7) من ورقة رقم ١٠٣ إلى ١٠٦. ورقمها القديم هو ١٤٩١ فى فهرست مخطوطات مكتبة ليدن، وعن هذه الرسالة نسخ أ.ى. فنسنك نسخة بيده أضاف إليها بعض التعليقات وهذه النسخة برقم Or. 8334 e[1]. وقد ذكر بروكلمان الرسالة فى كتابه تاريخ الآداب العربية تحت رقم ١٧[2]، ولكنه خلط بينها وبين رسالة أخرى للغزالى اسمها (رسالة فى المعرفة) وهى مخطوطة تحت رقم ٣٢٠٨ فى برلين، واعتبر الرسالتين رسالة واحدة. وقد حصلت على صورة من كل من الرسالتين فوجدتهما مختلفتين تماما، وبينما تقع (رسالة فى بيان معرفة الله) فى أربع ورقات كما أشرنا تقع (رسالة فى المعرفة) فى ثلاث عشرة ورقة. وهذه الرسالة الأخيرة يجدها القارئ منشورة هنا بعد الرسالة الأولى.

وترد رسالة الغزالى فى بيان معرفة الله فى مخطوط جامعة ليدن المشار إليه بعد الرسالة الطيرية للغزالى وبنفس الخط. وهذه الرسالة الأخيرة منشورة مع

(١) راجع مؤلفات الغزالى للدكتور عبد الرحمن بدوى ص ٢٦٩. القاهرة ١٩٦١م.

(٢) ص ٤٢١ من الجزء الأول طبعة عام ١٨٩٨م.

مجموعة رسائل أخرى فى كتاب بعنوان: القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى[1]، ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم يشر أحد من الباحثين إلى وجود نسخة أخرى من مخطوط رسالة الغزالى فى بيان معرفة الله غير مخطوط جامعة ليدن الذى اعتمدنا عليه. ولا يوجد فى المخطوط إشارة إلى اسم الناسخ أو تاريخ النسخ. ولكن يغلب على الظن أن اسم الناسخ وتاريخ النسخ مذكور فى نهاية مجموعة الرسائل التى تضم رسالة الغزالى فى بيان معرفة الله وغيرها، حيث قام الناسخ نفسه بنسخ عدة رسائل للغزالى منها الرسالة الطيرية المشار إليها. ولكننا لم نحصل على المجموعة كلها حتى نجزم بذلك، ولعلنا نتمكن فى طبعة أخرى من التحقق من اسم الناسخ.

نسبة الرسالة للإمام الغزالى:

ورسالة الغزالى فى بيان معرفة الله ليس فيها ما يحملنا على الشك فى صحة نسبتها للغزالى لا من ناحية الشكل ولا من ناحية الموضوع، وإليك بيان ذلك: يبدأ الغزالى هذه الرسالة بقوله: «سألتنى وفقك الله عن مسألة اشتبهت عليك ..» إلخ، وهذه عادة الغزالى فى كثير من كتبه ورسائله، فهو ـ على سبيل المثال ـ يبدأ كتابه (المنقذ من الضلال) بقوله: « .... أما بعد فقد سألتنى أيها الأخ فى الدين أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها ...» إلخ، كما يبدأ كتابه (المقصد الأسنى) بقوله: « ... أما بعد فقد سألنى أخ فى الله ـ يتعين فى الدين إجابته ـ شرح أسماء الله الحسنى ..» إلخ.

(١) من نشر مكتبة الجندى بالقاهرة.

مضمون الرسالة:

أما عن الأفكار التى تشتمل عليها الرسالة فإنها هى أفكار الإمام الغزالى بعينها لأنها مرددة فى كتبه الأخرى[1]. وسنعرض هنا بإيجاز أهم ما تضمنته الرسالة من أفكار: يريد الغزالى فى هذه الرسالة أن يؤكد على النقطتين التاليتين فيما يتعلق بمعرفة الله تعالى:

١ ـ لا يستطيع المرء إطلاقًا أن يعرف الله تعالى معرفة كاملة، إذ إنه لا يستطيع أن يعرف الله تعالى حق معرفته إلا الله، ولا يحيط بكنه جلاله سواه. ويسرد الغزالى فى هذا الصدد كثيرًا من الأمثلة التى توضح هذه الحقيقة. ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام أن ديكارت أبا الفلسفة الحديثة يتفق مع الغزالى فى هذا الرأى حيث يقول فى كتابه التأملات: «فإن من شأن اللامتناهى (الله) أن يعجز المتناهى (الإنسان) عن الإحاطة به»[2].

٢ ـ كل ما يستطيع المرء أن يحصل عليه من معرفة فى هذا المجال هو معرفة ناقصة، وهذه المعرفة تتحقق ـ بناء على رأى الغزالى ـ بطرق مختلفة تتمثل فيما يأتى:

(ا) عن طريق دلالة الخلق على الخالق. وهذه معرفة الفعل وليست معرفة الذات.

(ب) عن طريق إثبات صفات الحياة والعلم والقدرة لله، وهذه المعرفة معرفة بالأوصاف لا بالحقيقة.

(١) راجع مثلا كتاب (المقصد الأسنى) للغزالى ص ٢٥ ـ ٣٢ من نشر مكتبة القاهرة (بدون تاريخ).
(٢) التأملات لديكارت، ترجمة د. عثمان أمين ص ١٤٦ من الطبعة الأولى.

(ج) عن طريق إثبات استحالة صفات معينة عليه سبحانه وتعالى كالحدوث والجسمية والعرضية إلخ. وهذا علم بسلب أمور عنه وليس علما بحقيقة الذات.

هذه هى المناهج الثلاثة التى يرجع إليها الغزالى ـ فى هذه الرسالة ـ معرفة الخلق بالله تعالى «وعند هذا إذا أمعن العارف بعد هذه المعارف يتبين له .. استحالة اطلاع الخلق على كنه معرفة ذاته، وذلك هو نهاية العارفين. وعند ذلك يقولون : العجز عن درك الإدراك إدراك ..» كما يقول الغزالى فى هذه الرسالة.

وإليك رسالة الغزالى فى بيان معرفة الله كما وردت فى المخطوط المشار إليه بعد أن قمنا بتصحيح ما ورد فيها من أخطاء نحوية وإملائية وغيرها.

رسالة فى بيان معرفة الله

بسم الله الرحمن الرحيم. رسالة الإمام حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالى فى بيان معرفة الله:

سألتنى وفقك الله عن مسألة اشتبهت عليك، وهى أنه لا يبلغ فهم واحد منا وإن كان غزير الفهم والعلم أن يحيط علمًا[١] بالجسمانيات والروحانيات، ولا يتحقق ذلك عنده كما هو. فكيف يسوغ لأحد دعوى معرفة الله كما هو بصفاته، ومدعى ذلك جاعل لله تعالى حدًا ونهاية، لأن علمه يحيط بذاته، وكل محيط بشىء فهو أول ذلك المحاط وآخره من وجه ظاهر له، ومن وجه باطن، والله تعالى يقول: ﴿هو الأول والآخر﴾[٢]؟

الجواب: ينبغى أن يعلم قبل كل شىء أنه لا يعرف الله تعالى حق معرفته إلا الله تعالى، ولا يحيط بكنه جلاله سواه[٣]، ولا ينبغى أن يستبعد هذا، فإنى أقول: لا يعرف الملك[٤] حق معرفته إلا الملك، بل لا يعرف النبى حق معرفته إلا النبى، بل لا يعرف العالم حق معرفته إلا العالم، بل أقول: التلميذ إذا لم ينل رتبة الأستاذ فى العلوم لم يعرف الأستاذ حق معرفته. وإذا نال فى العلوم رتبته عرف معرفة تفارق معرفة الأستاذ منه. فإنه يعلم أولا ما[٥] يعلمه الأستاذ،

(١) فى المخطوط: علم.

(٢) سورة الحديد: الآية ٣.

(٣) انظر أيضًا المقصد الأسنى ص ٢٨.

(٤) ساقطة من المخطوط.

(٥) فى المخطوط بزيادة (لا) قبل (يعلمه)، وقد حذفناها حتى يستقيم المعنى مع قوله بعد ذلك. «فيعلم أنه محيط بالمعلومات التى هو محيط بها».

ويدرك ذلك من نفسه، ثم يعرف الأستاذ بالمقايسة إلى نفسه فيعلم أنه محيط بالمعلومات التى هو محيط بها، بل أقول: الحالة التى يدركها المواقع عند قضاء الوطر لا يتصور أن يعرفها الغير حق معرفتها؛ لأن كمال معرفة[1] تلك الحالة (يكون)[2] بالذوق والإدراك[3]. ولا يتصور معرفة ماهيته قبل الاتصاف به، بل غاية ما[4] يتصور منه التصديق بإثبات أمر ما مجهول الماهية والحقيقة[5] عنده.

وكيف يطمع الإنسان فى أن يعرف الله تعالى حق معرفته وهو ليس يعرف نفسه حق معرفتها[6]؟ وإنما يعرف نفسه ـ فى أكثر الأحوال ـ بأفعالها وأوصافها، ولا يدرك ماهيتها. بل لو أراد الآدمى أن يدرك نملة أو بقة إدراكًا محيطًا بكمال حقائقها وحقائق أوصافها عجز عنه. وغايته أن يعرف بالإبصار شكلها ولونها وتركيب أعضائها، واختلافها فى أمور ظاهرة، فأما الفصول المنوعة التى بها يفارق نفس البقة نفس النملة[7] حتى تفرع من اختلافها اختلاف التركيب واختلاف الصفات لم يقدر عليه[8].

(١) فى المخطوط : المعرفة.

(٢) ساقطة من المخطوط.

(٣) قارن أيضًا المقصد الأسنى ص ٢٧.

(٤) فى المخطوط لم بدلا من ما.

(٥) فى المخطوط : وتحقيقه.

(٦) فى المخطوط : معرفته.

(٧) فى المخطوط : (النحلة) وذلك خطأ من الناسخ، فالمقصود هو النملة كما أثبتنا حيث لا زال الحديث متصلا بها.

(٨) المعنى واضح ـ رغم أن التعبير غير سليم ـ والمقصود: ... فإنه غير قادر على معرفة هذه الفصول المنوعة إلخ.

ولو تصور أن يكون لله تعالى مثل ونظير ـ تعالى عن ذلك ـ لجاز أن يقال: إن مثله عرفه حق معرفته بالمقايسة إلى نفسه، فإنه عرفها[1] أولا، وإليها قاس ذات غيره، كما يعرف العالم عالمًا مثله بالمقايسة إلى نفسه.

أقول: للآدمى أطوار: الأول كونه جنينًا ثم طفلا ثم مميزًا ثم عاقلا ثم وليًا من أولياء الله تعالى. والجنين لا يدرك أحوال نفسه، وليس يمكن فى حقه معرفة حال الطفل، ولا الطفل يعرف المميز، ولا المميز ـ فى حال التمييز ـ يعرف العاقل[2]، ولا العاقل المدرك ـ بنظر العقل ـ المعقولات يدرك الولى المكاشف إلا بطريق الاستدلال[3]، ولا الولى يعرف النبى ـ فإن طور النبوة وراء طور الولاية ـ ولا النبى يعرف الملك كمعرفة الملك نفسه، ولا الملك يعرف الله تعالى كمعرفة الله تعالى ذاته. فهذه كمالات مرتبة، والمحجوب عن كل رتبة قاصر عن الإحاطة بكنه حقيقتها.

نعم، قد يقوم عنده البرهان على إثبات أصله، فإذا عرفت هذا فاعلم أن منتهى معرفة الخلق علمهم بأن هذا العالم العجيب المنظوم المرتب يحتاج إلى مدبر حى قادر عالم لا يشبه العالم ولا يشبهه العالم[4]. فدل الخلق عنده على إثبات شىء ما منه صدر الخلق، وهذا معرفة فعله لا معرفة ذاته.

ويدل على إثبات الحياة والعلم والقدرة، وهذا علم بالأوصاف لا بالحقيقة وليس علمًا بحقيقة الأوصاف أيضًا، بل بنوع من المقايسة. ولو لم يكن الإنسان

(١) فى المخطوط: عرفه.

(٢) وردت العبارة فى المخطوط هكذا: «ولا التمييز من حال التمييز يعرف العاقل».

(٣) وردت العبارة فى المخطوط كما يلى: «ولا العاقل المدرك بنظر العقل المعقولات يدرك الولى بالمكاشف إلا بطريق الاستدراك».

(٤) وردت العبارة فى المخطوط كما يلى: «لا يشبهه العالم ولا يشبهه العالم».

يعبر عنه بالعلم والحياة والقدرة لما أمكنه أن يدرك بالدليل إثبات أصل هذه الأمور.

وكذلك يدل على أنه يستحيل عليه الحدوث والجسمية والعرضية إلى غير ذلك مما يستحيل عليه. وهذا علم بسلب أمور عنه (وليس علمًا)[1] بحقيقة الذات.

وإلى هذه المناهج الثلاثة ترجع معرفة الخلق بالله تعالى، وإن اختلفوا فى درجات الكشف وفى طريق المعرفة وفى مقادير المعلومات. وكل ذلك يرجع إلى معرفة احتياج العالم[2] إلى فاعل لذلك لا إلى إحاطة بحقيقة ذاته.

وعند هذا إذا أمعن العارف بعد هذه المعارف يتبين له بطريق يطول ذكره استحالة اطلاع الخلق على كنه معرفة ذاته، وذلك نهاية العارفين، وعند ذلك يقولون: العجز عن درك الإدراك إدراك[3] ، فإنه[4] مهما عرف الإنسان أن العجز عن درك كنه جلاله ضرورى فقد أدرك ما هو منتهى كماله، فإنه غاية كمال الإنسان.

وعند هذا لو قال العارف: لا أعرفه، صدق من وجه، ولو قال: أعرفه، صدق (من وجه)[5]. ومثاله الذى يعرض عليه خط منظوم[6] (ويقال له:)[7]

(١) فى المخطوط عبر بقوله: (ولا) بدلا من (وليس علمًا) وسلامة التعبير تقتضى التغيير الذى أوردناه.

(٢) فى المخطوط: العلم.

(٣) نسب الغزالى فى كتابه المقصد الأسنى ص ٢٩ هذا القول إلى أبى بكر رضى الله عنه حيث يقول: «وهو الذى أشار إليه الصديق الأكبر حيث قال: «العجز عن درك الإدراك إدراك»، بل هو الذى عناه سيد البشر صلوات الله تعالى عليه وسلامه حيث قال: «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

(٤) فى المخطوط : بأنه.

(٥) ساقط من المخطوط.

(٦) قارن المقصد الأسنى ص ٢٦ حيث يذكر الغزالى المثال نفسه الذى أورده هنا.

(٧) فى المخطوط : فقال.

هل تعرف كاتبه؟ (إنه[1]) موجود حى قادر عالم سميع بصير ـ لأن الكتابة لا تتم إلا بهذه الصفات ـ وأنه ليس بجماد ولا نبات ولا بهيمة. فيقول: نعم[2]. قد عرفته. وله أن يقول: (إنى) وإن عرفت هذا كله (فإنى) لا أعرفه[3].

ولهذا العارف حالتان: يقول فى إحداهما: لا أعرف الله تعالى. ويقول فى الأخرى: لا أعرف إلا الله. وهو صادق فيهما[4]. أما الأولى فإنه لا خصوص الذات، وعطوف قلبه نحوها فلا يعتريه إلا الدهشة اشتدت عليه[5] (...)[6] فعند ذلك يقول: لا أعرفه.

وأما الثانية فهو أن ينظر إلى أفعاله من حيث إنها أفعاله، فلا يرى عند ذلك فى الوجود إلا الله عز وجل وأفعاله، فيقول عند ذلك: لست أعرف شيئًا غير الله تعالى، وما فى الأرض غيره، فهو الكل على التحقيق. فإن من لم ينظر إلا إلى الشمس وأنوارها[7] المنبسطة فى العالم، ولم يلاحظ قلبه الأشياء المستنيرة بها من حيث إنها جمادات أو بهائم، فكأنه لم ير إلا الشمس. وفى مثل هذه الحالة

(١) كلمة غير موجودة بالمخطوط.

(٢) فى المخطوط وردت كلمة (فقال) بعد كلمة نعم وقد حذفناها لأنها هنا مقحمة.

(٣) وردت العبارة فى المخطوط على النحو التالى: «فله أن يقول: وإن عرفت هذا كله ما لى لا أعرفه». وقد صححنا العبارة إلى ما أثبتناه فى النص؛ لأن الحديث هنا عن حالتين مختلفتين من أحوال المعرفة. فمرة يثبت المرء المعرفة ومرة ينفيها.

(٤) قارن المقصد الأسنى ص ٢٥، و ٣٢.

(٥) فى المخطوط : اشتدت عيه. ويمكن أن تصحح أيضًا إلى : استبدت به..

(٦) وردت هنا بعض كلمات فى المخطوط نعتقد أنها مقحمة ولهذا لم نثبتها فى النص، وهذه الكلمات هى: «وأرجع إلى رأس الحديث فأقول: برزت طابعه بقبض والحيرة».

(٧) فى المخطوط : وأنواره. قارن أيضًا المقصد الأسنى ص ٣٢ حيث يذكر الغزالى هناك أيضًا مثال الشمس.

يجد العارف البسط[1] بما يطلع عليه من أنوار إلهية[2] قد أشرقت[3] عليه من الآثار. وأما الحالة الثانية[4] فحالة القبض[5]. ولهذا قال سيد المرسلين وسلطان العارفين صلوات الله وسلامه عليه: «**تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته**»[6].

وهذا حديث يطول فيه نظر الناظرين، فلا يستوفى العارف بحار المعرفة التى أفاضها الله عليه منها وإن عَمّر عُمْر نوح عليه السلام. وجميع معرفة العارفين نسبتها إلى معرفة الله تعالى[7] أقل من نسبة قطرة إلى بحار الدنيا، فإن

(١) انظر : تفسير مفهوم (البسط) فى هامش تفسير مفهوم (القبض) الذى يأتى بعد قليل.

(٢) فى المخطوط : الإلهية.

(٣) فى المخطوط : فقد أشرق.

(٤) فى المخطوط : الأولى.

(٥) القبض والبسط حالتان تردان بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء، فالعبد قد يتقدم له الخوف من ضرر يخشاه فى المستقبل، فإذا حل به انقبض، والرجاء تأميل حصول محبوب فى المستقبل، فإذا حصل انبسط، فمتعلق الخوف والرجاء أمر يحصل فى الآجل، ومتعلق القبض والبسط أمر يحصل فى الوقت العاجل.

ومن أدنى موجبات القبض، أن يرد على قلب العبد وارد موجبه إشارة إلى عتاب ورمز باستحقاق تأديب فيحصل فى القلب لا محالة قبض، وقد يكون موجب بعض الواردات إشارة إلى تقريب أو إقبال بنوع لطف وترحيب، فيحصل للقلب بسط وقد ورد فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**والله يقبض ويبسط**﴾.

وقد عد أهل التحقيق حالتى القبض والبسط من جملة ما استعاذوا منه لأنهما بالإضافة إلى ما فوقهما ـ من استهلاك العبد واندراجه فى الحقيقة ـ فقر وضر. وقد ورد عن الجنيد قوله: الخوف من الله يقبضنى، والرجاء منه يبسطنى ... إذا قبضنى بالخوف أفنانى عنى. وإذا بسطنى بالرجاء ردنى على. (انظر : الرسالة القشيرية بشرح الشيخ زكريا الأنصارى ص ٣٢، ٣٣. طبعة محمد على صبيح).

(٦) أخرجه : ابن أبى الدنيا والطبرانى وابن مردويه والأصبهانى فى الترغيب عن ابن عمر بلفظ : «**تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله**».

وأخرج ابن أبى حاتم والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس قال: «تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله». انظر الدر المنثور لجلال الدين السيوطى جـ ٢ ص ١١٠ طهران ١٣٧٧هـ.

(٧) فى المخطوط تكررت عبارة «إلى معرفة الله تعالى».

نسبتها إليه نسبة منتهاه. ولكن هذا القدر (من الإجابة)[1] كاف فى حل الشبهة، فإنها ابتنت على أن الإنسان يقوم على الإحاطة بالله (سبحانه)[2] (...)، وأصل الوضع خطأ[3]، وإذا عرف ذلك اندفع الاستبعاد[4].

(١) ما بين القوسين غير موجود فى المخطوط.

(٢) لم ترد كلمة سبحانه فى المخطوط ووردت هنا بعض كلمات لا معنى لها حذفناها من النص وهى: «سى عليه الاستعادات».

(٣) أى أصل وضع السؤال .... المشتمل على الشبهة الوارد فى أول الرسالة ـ خطأ.

(٤) كتب الناسخ بعد انتهاء الرسالة العبارة التالية: «تمت الرسالة على يدى بحمد الله وحسن توفيقه».

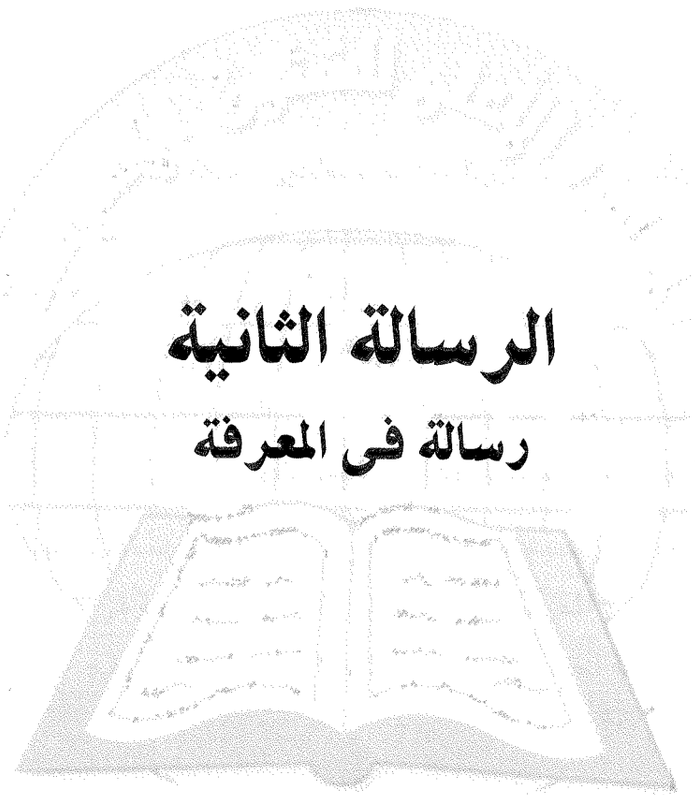

الرسالة الثانية

رسالة فى المعرفة

الرسالة الثانية

رسالة فى المعرفة

تمهيد:

سبق أن أشرنا إلى أن بروكلمان قد خلط بين رسالة الغزالى فى بيان معرفة الله ورسالة أخرى للغزالى اسمها (رسالة فى المعرفة) واعتبرهما رسالة واحدة وقد بينا خطأ ذلك، إذ هما رسالتان مختلفتان اختلافًا تامًا من حيث الموضوع، ومن حيث الشكل. وبعد أن قدمنا نص الرسالة الأولى نريد أن نقدم هنا نص الرسالة الثانية فى المعرفة. وقبل أن نقدم هذا النص نمهد له بإلقاء نظرة على هذه الرسالة وعلى ما تشتمل عليه من موضوعات.

أشار الدكتور عبدالرحمن بدوى إلى أن هناك رسالة للإمام الغزالى بعنوان: (رسالة فى المعرفة)، وذكر أنه توجد منها مخطوطة فى برلين تحت رقم ٣٢٠٨ ومخطوطة أخرى فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٨٨٠ تصوف طلعت[١].

ويضع الدكتور بدوى رسالة الغزالى فى المعرفة ضمن القسم الذى خصصه للكتب التى يدور حولها الشك فى صحة نسبتها إلى الإمام الغزالى. وقد فعل الشىء نفسه مع رسالة الغزالى فى بيان معرفة الله، وذكرهما على التوالى تحت رقمى ٨٨، ٨٩ ـ ولكنه لم يذكر لنا مبررات مقنعة للشك فى صحة نسبتهما

(١) راجع مؤلفات الغزالى للدكتور بدوى ص٢٦٨ وما بعدها.

للغزالى. وقد بينا فى عرضنا لرسالة الغزالى فى بيان معرفة الله أنه لا يوجد هناك ـ فى رأينا ـ سبب يدعونا للشك فى صحة نسبتها للغزالى.

وهناك خلط آخر وقع فيه الباحثون، فقد ذكر الدكتور بدوى أن هناك مخطوطتين من (رسالة فى المعرفة) الأولى فى برلين والثانية فى دار الكتب المصرية، وأشار إلى بداية ونهاية مخطوط دار الكتب المصرية وقال: إن هذا المخطوط يقع فى ١١ ورقة وتاريخ كتابته ١١٦٧هـ وأوله: (اعلم أن مبنى الإسلام على أمور أربعة: معرفة النفس، ومعرفة الله تعالى، ومعرفة الدنيا، ومعرفة الآخرة.. إلخ) وآخره: (وإن كفرت بالله تعالى واليوم الآخر يدخلك الله نارا فيها حيات وعقارب.. إلى قوله: والله الموفق بما هو اللائق بكرمه الفائق).

وبمقابلة هذا المخطوط بمخطوط برلين[1] اتضح لنا أنهما رسالتان مختلفتان اختلافًا تامًا.. فمخطوط برلين يبدأ بقوله: (اعلم أن المعرفة معرفتان: معرفة الحق ومعرفة الحقيقة، فمعرفة الحق هى الفرار من النفس... ومعرفة الحقيقة هى القرار مع الله تعالى.. إلخ) وينتهى بقوله:

(والنفس المرضية وهى عبارة عن التقرب والتفكر والكرم والخلق الحسن واللطف؛ والنفس الصافية وهى عبارة عن الذل والانكسار والفاقة والافتقار والسلام).

(١) انتقل هذا المخطوط مع غيره من مخطوطات إلى مدينة توبنجن بألمانيا الغربية منذ الحرب العالمية الثانية. وقد طلبناه من برلين حسب ماهو مبين لدى بروكلمان فأحالت مكتبة برلين الغربية طلبنا إلى مكتبة برلين الشرقية. وأجابتنا هذه بوجود المخطوطات فى توبنجن، وأخيرا حصلنا على المخطوط من توبنجن وكان ذلك فى أواسط العقد الماضى. ونظرا لأن الباحثين كانوا يعتقدون حتى الآن أن هذا المخطوط موجود فى برلين فسنذكره على أنه مخطوط برلين باعتبار ما كان.

وفضلا عن ذلك فإن ما تضمنته هذه الرسالة من أفكار يختلف عما تضمنه مخطوط دار الكتب المصرية من أفكار. وسننشر هنا بعد هذا التمهيد نص مخطوط برلين، ثم ننشر بعده نص مخطوط دار الكتب المصرية.

ويرجع تاريخ مخطوط برلين إلى عام ١١٩٨هـ. وقد تم نسخه ـ حسب ما هو وارد فى نهاية المخطوط ـ «على يد الفقير ملا محمد الكردى بن ملا عبد النبى غفر الله لهما ولسائر المسلمين أجمعين فى سنة ١١٩٨هـ» ويقع هذا المخطوط فى ١٣ لوحة.

مضمون الرسالة:

أما عن الموضوعات التى تناولتها الرسالة فنقول :

لقد بدأت الرسالة بتقسيم المعرفة إلى قسمين: معرفة الحق وهى الفرار من النفس، ومعرفة الحقيقة وهى القرار مع الله تعالى، وبينت العلاقة الوثيقة بين العلم والعمل، وتحدثت عن حقيقة النفس وعن صفاتها وصورتها ومكانها من البدن، وفرقت بين وساوس النفس وهواجس الشيطان، وبينت علامات من يجعل من نفسه غايته الوحيدة، وتحدثت عن تقسيم النفس إلى أمارة ولوامة ومطمئنة، وأشارت إلى الأمور التى تشبه بها النفس، ثم تحدثت عن علامات التائبين والزاهدين والعارفين.

وبعد الانتهاء من الحديث عن النفس انتقلت الرسالة إلى الحديث عن صفات الله ـ عز وجل ـ وتقسيمها إلى صفات ذاتية وصفات معنوية، ثم أشارت إلى

أن أخص وصف الإله هو قدرته على الاختراع والإبداع. وتطرق الحديث فى هذا المقام إلى الكلام عن مقام الصديقين فى المعرفة. ثم تحدثت الرسالة عن حقيقة المعرفة، وعن علامات العارف، وعن المعارف التى لابد من الحصول عليها كى يستطيع المرء أن يعرف الله حق المعرفة، وهى أن يعرف المرء الدنيا بالفناء والآخرة بالبقاء والنفس بالخطاء، وأشارت إلى الفرق بين العبادة والعبودية: فالعبادة إثبات الطاعة، والعبودية الغيبة عن رؤية الإخلاص فى الطاعة.

والملاحظ أن الرسالة قد تناولت كل هذه الموضوعات المختلفة بدون تقسيمها إلى فصول مستقلة واكتفت فى معظم الأحيان بطرح سؤال يحدد الموضوع المراد تناوله، ثم يجاب عنه. ولذلك رأينا إضافة عناوين جانبية فى الرسالة قبيل كل نقطة من تلك النقاط لتكون بمثابة إشارات تحدد الموضوع المراد بحثه.

وبعد أن فرغت الرسالة من الموضوعات المشار إليها بدأت بتقسيم الموضوعات الباقية إلى فصول، وجعلت لكل فصل منها عنوانًا خاصًا. وتدور هذه الفصول حول مفاهيم صوفية وذلك على النحو التالى:

فصل فى حجاب العبد عن ربه، وفصل فى الهمة والإرادة والمنية، وفصل فى التجريد والتفريد، وفصل فى المجاهدة والمكاشفة والمشاهدة، وفصل فى الأدب والهيبة والتعظيم، وفصل فى الخواطر، وفصل فى بيان الشريعة والحقيقة، وفصل فى الذكر.

وبعد ذلك يأتى فصل عن الولى وخصائصه، وفصل فى الابتداء والانتهاء، وفصل فى البلاء، وفصل فى السكر.

نسبة الرسالة للإمام الغزالى:

ويلاحظ أن بعض هذه الفصول لا يتجاوز بضعة أسطر، وأن ارتباط بعض الموضوعات ببعضها ليس دائمًا ارتباطًا وثيقًا؛ كما أن أسلوب الرسالة ركيك فى بعض المواضع، وهناك بعض التكرار وقدر لا بأس به من الأخطاء النحوية والإملائية، فضلا عن الكثير من الأخطاء التى وقع فيها الناسخ والتى جعلت بعض العبارات لا معنى لها.

وقد يكون ذلك كله داعيا إلى الشك فى صحة نسبة هذه الرسالة إلى الغزالى ولكننا لا نميل إلى ذلك، فلم يثبت ـ على حد علمنا ـ أن نسبت هذه الرسالة إلى مؤلف آخر، كما أن ما فيها من أفكار لا يتناقض مع ما عرضه الغزالى فى كتبه ورسائله. أما ركاكة الأسلوب فى بعض العبارات وعدم الترابط أحيانًا، فقد يكون ذلك راجعًا إلى أن الغزالى أملى هذه الرسالة ولم يعد النظر فيها، أو أنه لم يصغ بنفسه عبارات الرسالة كلها أو بعضها، وأن أحد تلاميذه قد قام بالصياغة اعتمادًا على ما سمعه من الغزالى فى مجالسه العلمية. وهناك احتمال آخر وهو أن يكون الإمام الغزالى قد كتب الرسالة فى الأصل باللغة الفارسية ـ فمن المعروف أنه كتب بعض مؤلفاته بهذه اللغة ـ ثم ترجمت الرسالة إلى العربية على هذه الصورة التى بين أيدينا. وعلى كل الأحوال فإن جوهر الرسالة وما فيها من أفكار يظل ملكا للغزالى.

وينبغى أن نأخذ فى الاعتبار أن الغزالى له كتب قام بتأليفها للخاصة وكتب أخرى ألفها للعامة أو متوسطى الثقافة. والرسالة التى نحن بصددها، رغم

اشتمالها على أفكار فلسفية وكلامية وصوفية وأخلاقية، إلا أنه لا يمكن أن يكون قد قصد بها خاصة المثقفين، أو أنها من بين الكتب المضنون بها على غير أهلها حسب التعبير المشهور عنه. فقد عرضت الرسالة هذه الأفكار بطريقة عامة لا تعقيد فيها لتكون سهلة التناول وقريبة من شتى الأفهام. وقد قمنا بتصحيح الأخطاء الواردة فى الرسالة، وأثبتنا التصحيح فى النص، ونبهنا فى الهوامش إلى ما ورد فى الرسالة قبل التصحيح وذلك حتى يستطيع القارئ أن يقارن بين ما ورد فى الأصل وما جاء فى التصحيح، وقد قمنا بتخريج الأحاديث وعلقنا على بعض المفاهيم التى تناولتها الرسالة وذلك زيادة فى الإيضاح وتعميما للفائدة.

وإليك نص رسالة الغزالى فى المعرفة:

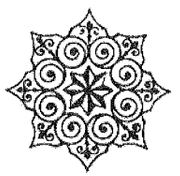

رسالة فى المعرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام جمال الإسلام وزين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى رضي الله عنه:

تقسيم المعرفة :

اعلم أن المعرفة معرفتان: معرفة الحق ومعرفة الحقيقة. فمعرفة الحق هى الفرار من النفس، والفرار سبب النجاة من الخلاص والإخلاص من بلاء النفس[١]. ومن سمع نفسه فسكن من الفرار فهو مغرور[٢]. ولا يتيسر الفرار عنها إلا بعد (معرفة)[٣] صفاتها الجلية والخفية. ومعرفة الحقيقة هى القرار مع الله تعالى، ولا يحصل القرار مع الله إلا بعد معرفة صفاته الذاتية والمعنوية.

علاقة العلم بالعمل :

واعلم أن الفقيه لو أحكم علم الطاعة ولم يعمل بها، وأحكم علم المعاصى ولم يتجنبها[٤]، ولم يزك[٥] نفسه منها، وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف

(١) لعل التعبير الصحيح هو: والفرار سبب النجاة والخلاص من بلاء النفس.

(٢) أى من استسلم لهوى النفس ولم يجاهدها فهو مغرور.

(٣) كلمة غير موجودة فى المخطوط، وقد أضفناها ليستقيم المعنى.

(٤) فى المخطوط: ولم يجنبها.

(٥) فى الأصل: يزكى.

بها فهو مغرور، إذ قال الله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾[1] ولم يقل قد أفلح من تعلم.

حقيقة النفس:

فإن قيل: فما حقيقة النفس؟ قيل: النفس لطيفة مودعة فى هذا القالب، وهى محل الأخلاق المذمومة المعلولة وهى الذم والظلم والغضب والحقد وغرامة مال المسلمين ونصر المنافقين، وقال تعالى: ﴿إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار﴾[2]؛ كما أن الروح اللطيفة مودعة فى هذا القالب وهى محل الأخلاق المحمودة. فإن اتصف بها سكن من البلاء[3].

صفات النفس:

فإن قيل: وما صفاتها؟ قيل أمارة بالسوء خائنة كافرة جاحدة مشركة، كما

(١) سورة الشمس: الآية ٩.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٥.

(٣) راجع أيضا إحياء علوم الدين للغزالى (ص٤ من الجزء الثالث ـ طبع مصطفى البابى الحلبى ١٩٣٩م) حيث يقول: «اللفظ الثالث: النفس وهو أيضا مشترك بين معان، ويتعلق بغرضنا منه معنيان: أحدهما : أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة فى الإنسان.. وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان، فيقولون: لابد من مجاهدة النفس وكسرها. وإليه الإشارة بقوله ﷺ : «أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك». المعنى الثانى: هى اللطيفة.. التى هى الإنسان بالحقيقة وهى نفس الإنسان وذاته، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها.. فإذن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم، وبالمعنى الثانى محمودة».

قال الله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى• فإن الجنة هى المأوى﴾[1]. وأفعالها أن تقصد ضرب عنق المسلمين. كما حكى أنه اجتهد بعض الولاة بصالح أن يتولى عملا له فأبى. فقال[2] له: إن دخلت فى العمل والفعل وإلا ضربت عنقك. فقال: إن توليت[3] هذا العمل فنفسى تضرب عنقى، فلأن تضرب عنقى أنت[4] أهون علىَّ من أن تضربه نفسى إن دخلت[5].

صورة النفس:

فإن قيل: فهل لها صورة؟ قيل: أجل، رأسها الكبر، وعينها العجب، وفمها الحسد، ولسانها الكذب، وأذنها النسيان، وصدرها الحقد، وبطنها الشهوة، ويدها الجناية والسرقة، ورجلها الأمل، وقلبها الغفلة وروحها[6]، وليس لها (علم)[7] ولا فهم. وهى تبيع الجنة ونعيمها ودخولها بشهوة ساعة فى دار الفناء. وأنها لا تموت ولا تفنى بالمجاهدة، ولكنها تخنس وتغيب ـ وهى عدو لك

(١) سورة النازعات الآيتان: ٤٠، ٤١، وكان الأولى أن يستشهد فى هذا المقام بقوله تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٢) فى الأصل: قال.

(٣) فى الأصل: بزيادة فى.

(٤) فى الأصل: أنه.

(٥) أى أن دخلت فى هذا العمل.

(٦) أى والغفلة قلبها وروحها.

(٧) فى الأصل بدون كلمة علم.

ـ وأين عداوتك لنفسك التى بين جنبيك[1] ـ ومفارقتك بالمجاهدة وتغيب بالمجاهدة[2]. ومن ثم يكون لها (حضور)[3] عندما تغفل عن المجاهدة، فلا يؤمن من شرها أبدا. ثم كل ما يحجب العبد عن الله تعالى فهو النفس، وما شغله فهى النفس كما قال الله تعالى: ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء**﴾[4].

موضع النفس من البدن:

فإن قيل: فما موضعها فى القالب؟ قيل: هى ذات أجزاء، فجزء منها فى العين ينظر بالخيانة، وجزء منها فى الأذن يسمع مالا يرضى الله به، وجزء منها فى اللسان ينطق بالغيبة والبهتان والنميمة والكذب والفتنة[5]. كما قال تعالى: ﴿**والفتنة أشد من القتل**﴾[6]؛ وفى الغيبة قال الله تعالى :

(١) اقتباس من الحديث الذى أشار إليه الغزالى: «أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك». وهذا الحديث ذكره البيهقى فى كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه محمد بن عبدالرحمن بن غزوان أحد الوضاعين.

(٢) يلاحظ هنا تكرير بعض العبارات بدون إضافة معنى جديد حيث يقول: «ولا تفنى بالمجاهدة ولكنها تخنس وتغيب.. ومفارقتك (لعلها وتفارقك) بالمجاهدة وتغيب بالمجاهدة».

(٣) كلمة أضفناها ليستقيم المعنى.

(٤) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٥) فى الأصل: والفتان. وقد اخترنا كلمة الفتنة بدلا منها لتتفق مع الآية التى يستشهد بها عقب ذلك.

(٦) سورة البقرة: الآية ١٩١. وقد وردت كلمة الفتنة فى الأصل بدون أن تسبق بالواو.

﴿**ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا**﴾[1]؛ وفى الكذب: ﴿**ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون**﴾[2]؛ وجزء منها فى اليد يأمر بالسرقة، قال الله تعالى: ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾[3]؛ وجزء منها فى الرجل يأمر بالمشى إلى الخطيئات، قال الله تعالى: ﴿**مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا**﴾[4]؛ وجزء منها فى البطن يتولد منه[5] الشهوة، قال الله تعالى: ﴿**إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء**﴾[6]؛ وجزء منها فى القلب يتولد منه[7] الغفلة. وما من شعرة فى البدن إلا وفيها لها حظ.

هواجس النفس ووساوس الشيطان:

فإن قيل: ما الفرق بين هواجس النفس ووساوس الشيطان؟ قيل: إن النفس تدعو إلى حظوظها مما لها نصيب فيه من نجوة[8]، وإرادة أن يكون لها شىء،

(١) سورة الحجرات: الآية ١٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠. وقد وردت الآية فى الأصل هكذا: «يكذبون فبشرهم بعذاب أليم» وليس فى القرآن آية على هذا النحو.

(٣) سورة المائدة: الآية ٣٨، وقد ورد فى الأصل لفظ السارق غير مسبوق بالواو.

(٤) سورة نوح: الآية ٢٥.

(٥) فى الأصل: منها.

(٦) سورة الأعراف: الآية ٨١.

(٧) فى الأصل: منها.

(٨) النجوة ما ارتفع من الأرض. وقد قيل فى تفسير قوله تعالى: ﴿**فاليوم ننجيك ببدنك**﴾ أى نرفعك على نجوة من الأرض ونطهرك (انظر القاموس المحيط ومختار الصحاح) ولعل المقصود هنا بقوله: تدعو إلى حظوظها مما لها نصيب فيه من نجوة، أى من حظوظ ظاهرة.

ولها قدر وحظ وجاه. والشيطان يدعو العبد بوساوسه إلى ماهو عصيان، والشيطان بذكر الله يغيب. والنفس لا تغيب لأنها مثل الكلب العقور، ولكنها لا تثبت فى (حالة)[1] الكشف والشهود. وإذا سها العبد عن شهوده، عادت النفس إليه، وهى كحية الوادى المؤذية إذا توهمت أنك قتلتها فلو مسستها تضرك بسمها.

علامة من غايته تأديب نفسه:

فإن قيل: ما علامات من غايته (تأديب) نفسه؟[2] قيل: أن لا يكون له دعوى فإن الدعوى أخص صفات النفس[3]؛ ولا يتغير بالجفاء[4] والزجر، ولا يستأنس بالقبول والمدح، ولا يتداخل فى الغيرة، ولا يدخل العين السخاء[5] ولها الحجاب الرقيق: أى يرى الأشياء بمقدارها بلا زيادة فى مقادير[6] الأشياء، ولا يملكه[7]

(١) كلمة حالة غير موجودة فى الأصل.

(٢) وردت العبارة فى الأصل هكذا: ما علامات من غاية نفسه؟ والسؤال على هذا النحو ناقص. وقد اخترنا كلمة غايته بدلا من كلمة غاية. ورغم أن التعبير حينئذ يستقيم إلا أنه لكى يتفق السؤال مع الإجابة التى تأتى عقب ذلك فإننا لا بد أن نقدر أن هنا كلمة قد سقطت أثناء النسخ بعد كلمة غايته، ولتكن مثلا كلمة تأديب أو تهذيب أو تربية، ليكون السؤال مثلاً على النحو التالى : ما علامات من غايته تأديب نفسه؟ فبدون تقدير مثل هذه الكلمة يوحى السؤال بمعنى سلبى غير مقصود.

(٣) وفى هذا يقول أحد الصوفية: التصوف «ألا تملك شيئًا ولا يملكك شىء».

(٤) وفى هذا يقول أحد الصوفية: «الصوفى لا يكدره شىء ويصفو به كل شىء».

(٥) المقصود بهذه العبارة غير واضح.

(٦) فى الأصل: مقادر.

(٧) فى الأصل: يملك.

الغضب، ولا يغلط فى إدراكه. وقد جاء فى الدعوات: اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه[1].

أقسام النفس:

ثم اعلم أن النفس ثلاثة : ذكر الله تعالى فى كتابه الأمارة واللوامة والمطمئنة. قال[2]: الأمارة وهى عبارة عن المكر والقهر والعجب والغناء، والعشرة أى المحبة[3]. واللوامة هى القلب، والمطمئنة هى الروح. وقيل: الأمارة النفس الظالمة، واللوامة هى النفس المقتصدة، والمطمئنة هى النفس السابقة[4].

(١) وردت عقب ذلك عبارة نرى ألا محل لها هنا فضلا عن أنها غير واضحة المعنى وهى: «مقادر الأمثال لا تملك الغضب».

(٢) الحكاية هنا عن الغزالى، ولعل هذا يوحى بأن الناقل عنه كان يكتب ما يقوله الغزالى أو ما يمليه عليه مباشرة.

(٣) وردت العبارة فى الأصل: هكذا: «العشرة أى تحبه» أو يحبه، ولعل الصواب هو: والعشرة أى المحبة، كما ورد ذلك بصدد الحديث عن النفس أيضًا فى نهاية هذه الرسالة..

(٤) يقول الغزالى فى الإحياء ٤/٣: إن النفس إذا «سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة. قال الله تعالى فى مثلها: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية﴾. وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره فى عبادة مولاه. قال تعالى: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء».

فى اختيار الأصحاب:

حكمة: لا تصحب[1] من كان له مائة خصلة حميدة ومعه خصلة ذميمة (هى جهله)[2] بنفسه، واصحب[3] من كان له مائة خصلة ذميمة ومعه خصلة حميدة وهى معرفته[4] بنفسه، لأن من عرف نفسه عرف ربه[5].

أى شىء تشبهه النفس:

فإن قيل: بأى شىء تشبَّه؟ قيل: فى الحسد تشبه بإبليس لأنه كان أول من حسد[6] آدم وفى الكبر تشبَّه بفرعون، وفى كثرة الأكل تشبه بالأطفال، وفى الشهوة تشبه بالحمير، وفى التزيين تشبه بالنساء، وفى كثرة الضحك وسوء الأدب تشبه بالسكران والمجانين، وفى النعمة تتمرد عن أمر الله تعالى، وتتضرع فى وقت المصيبة إلى الله تعالى، ولا ترضى بالقليل ولا تشبع بالكثير، وتتكلم فيما لا يعنيه.[7]

(١) فى الأصل بزيادة (مع).

(٢) فى الأصل: هو جاهل.

(٣) فى الأصل: بزيادة (مع).

(٤) فى الأصل: معرفة.

(٥) يذكر الغزالى هذا القول فى كثير من كتبه. انظر مثلا: الإحياء ٢/٣، مشكاة الأنوار ص٧١ (تحقيق د. أبو العلا عفيفى)، معارج القدس ص٤ (١٩٢٧م)، وكذلك المضنون به على غير أهله ص٣١٢، والمضنون الصغير ص٣٥٨ (ضمن مجموعة القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى ـ مكتبة الجندى).

(٦) فى الأصل بزيادة (على).

(٧) أى تتكلم فيما لا يعنى صاحبها.

علاقات التائبين والزاهدين والعارفين:

حكمة: ترك الذنوب علامة التائبين، وترك الدنيا علامة الزاهدين، وترك النفس علامة العارفين. لا يقبل العبد على[1] محبة الله تعالى إلا بعداوة النفس. ولا تصحب الدنيا إلا بالزهد، ولا تصحب النفس إلا بالمخالفة، ولا تصحب الشيطان إلا بالعداوة، ولا تصحب الخلق إلا بالنصيحة، ولا تصحب الله إلا بموافقة حكمه[2].

اعلم أن نفسك سجنك: فمتى كنت معها فأنت فى السجن والبلاء، وإذا خرجت وقعت فى الراحة. ولا يتخلص العبد منها[3] إلا بالاستقامة. قال الشيخ عبدالله: كن مع الله بالصدق، ومع الناس بالإنصاف، ومع النفس بالقهر، ومع العلماء بالتواضع، ومع الشيوخ بالخدمة، ومع الفقراء بالسخاوة، ومع الأطفال بالشفقة، ومع الجهال بالسكوت.

الصفات الإلهية:

فإن قيل: صفات البارى جل جلاله إلى كم تنقسم؟ قيل: إلى قسمين: صفة ذاتية وصفة معنوية. فالصفة الذاتية هى التى لو قدرنا انتفاءها أوجب انتفاء الذات، ولا يحل[4] لأجل انتفائها، ولو تصور ثبوت الذات مع انتفائها لوجب

(١) فى الأصل (إلى) بدلا من (على).

(٢) ورد فى الأصل بعد الفعل (تصحب) فى كل هذه العبارات كلمة (مع). وقد حذفناها ليستقيم التعبير.

(٣) فى الأصل: عنها.

(٤) لعل المقصود: ولا توجد، أى الذات.

انقلاب جنسها ككونه[1] قائمًا بنفسه وكونه موجودًا واجبًا. والصفة المعنوية على قسمين: أحدهما ما يوجب صفة قديمة[2] ومعنى كقولنا: إنه قادر وعالم ومريد وحى وسميع وبصير وباق ومتكلم، لأنه يفيد القدرة والعلم والإرادة والحياة والسمع والبصر والتكلم والبقاء والثناء[3]. والثانى ما يوجب معنى حادثًا كقولنا فى صفاته إنه الخالق والرازق والمحيى والمميت وما أشبهها مما يوجب فعلا من أفعاله.

فإن قيل: هل يكون لله صفة زائدة على الصفات الثمانى؟ قيل: كلا، لإنا لو قدرنا صفة زائدة على الصفات الثمانى لا يخلو إما أن تكون[4] صفة مدح وكمال، أو صفة نقص وذم ونقصان. فإن كانت صفة مدح وكمال فعدمها فى الحال نقص، وقد اتصف البارى تعالى بصفات كمال من كل وجه، وإن كانت

(١) فى الأصل: ككونها.

(٢) فى الأصل: قديمية.

(٣) كلمة (الثناء) لا محل لها، لأن الغزالى قد حدد هنا الصفات المعنوية بثمان كما سيأتى بعد قليل، ولعلها زيادة من الناسخ، ولكن الذى يلفت النظر هنا هو اعتبار صفة البقاء ضمن الصفات المعنوية. والمعروف أنها صفة سلبية. فالبقاء عبارة عن سلب العدم. والغزالى ـ عند حديثه عن الصفات فى كتابه (الاقتصاد فى الاعتقاد) ـ لم يذكر صفة البقاء مع الصفات السبع الأخرى، إذ يقول: «القطب الثانى فى الصفات وفيه سبع دعاوى: إذ تدعى أنه سبحانه قادر عالم حى مريد سميع بصير متكلم. فهذه سبع صفات» وقد ذكر صفة البقاء فى الكتاب المذكور فى «القطب الأول فى النظر فى ذات الله تعالى وفيه عشر دعاوى».. الدعوى الثالثة ندعى أن صانع العالم مع كونه موجودًا لم يزل، فهو باق لايزال لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه». انظر الاقتصاد فى الاعتقاد ص٣٩، و٧٥ مكتبة الجندى ١٩٧٢م.

(٤) فى الأصل: يكون.

صفة ذم ونقصان فعدمها واجب له[1]. وإذ بطل القسمان تعين أنه لا يجوز أن يتصف بصفات زائدة على الصفات الثمانى.

أخص وصف الإله:

فإن قيل: فما أخص وصف الإله؟ قيل، أخص وصف الإله قدرته على الاختراع والإبداع[2]، ولا يشاركه فيه غيره. فمن أثبت فيه شركة فقد أثبت فيه شركة[3]، فقد أثبت إلهين بوحدانية الله تعالى، فقد استوجب له النار، ولم يرحمه[4] الله أبدًا مالم يترك إلهين[5]، وبالله العصمة.

أصناف العارفين:

فإن قيل: ما مقام الصديقين فى المعرفة؟ قيل: أجل مراتب العباد وأعلى

(١) فى الأصل: منه

(٢) ذهب أبو الحسن الأشعرى أيضا إلى أن أخص وصفه تعالى، هو القدرة على الاختراع، والمعروف أن الغزالى أشعرى. أما المعتزلة فقد ذهبوا إلى القول بأن القدم أخص وصف ذاته. انظر الملل والنحل للشهرستانى ص٤٩، ٩١ من الجزء الأول ـ الطبعة الثانية فى سلسلة الدراسات الفلسفية والأخلاقية.

(٣) أى فمن أثبت الشركة فى أخص وصف الإله فقد أثبت الشركة فى الإله.

(٤) فى الأصل: يرحمهم.

(٥) الأسلوب فى هذه العبارات ركيك، ولكن المعنى واضح وهو أن من أثبت شركة فى أخص وصف الإله فقد أثبت بذلك إلهين، وجعل من وحدانية الله ثنائية، وهذا أمر يستحق عليه صاحبه عذاب النار، ومن يسلك هذا المسلك لا يرحمه الله إلا إذا ترك هذا الشرك الذى يتضمن القول بإلهين.

منازلهم المعرفة بالله، والخلق فى المعرفة على ثلاثة أصناف: عارف بذات الله، وهى[1] مقام الأنبياء والرسل وأفاضل من الصديقين والأولياء. والسيد فى ذلك رسول الله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾[2]. وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أنا أعرفكم بالله وأخشاكم من الله**»[3]. فالمعرفة بصفات الله مقام خواص المؤمنين لقوله تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾[4]. والمعرفة بالله تعالى مقام عوام المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت**﴾[5]. فالمعرفة بذات الله تعالى توجب الهيبة والتعظيم: والهيبة إجلال الله الحق بإقلال الخلق، والتعظيم إعزاز الحق بإذلال الخلق، فيسقط عن سر الإجلال[6] سواه وإعزاز غيره، ولا يعظم شىء[7] عنده، ولا ينظر إلى المحدث، ولا يلتفت إلى المخلوق إلا ترك ورد إلى أبواب[8] المعرفة بصفاته يسلم من التشبيه.

وقيل: المعرفة نسيان ما سواه، والله منزه من التشبيهات. ألم تر كيف وصف الله تعالى رسوله فقال: ﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾[9].

(١) أى هذه المعرفة.

(٢) سورة محمد: الآية ١٩.

(٣) أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود ومالك وأحمد بلفظ: «**إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له**».

(٤) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٥) سورة الغاشية: الآية ١٧.

(٦) لعل التعبير الأفضل هو: فيسقط إجلال سواه.

(٧) فى الأصل: شيئًا.

(٨) فى الأصل: أبوابه.

(٩) سورة النجم: الآية ١٧.

والمعرفة بصفات الله توجب[1] السكون مع الله، والخوف من الله تعالى طلب نجاة من النيران برحمة الله تعالى. والسكون مع[2] الله، والرجاء إلى الله تعالى، والتوكل على الله، وسائر المقامات التى لعباده على قدر تجلى الصفات على أسرارهم. قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[3]. هذا مقام أهل المعرفة بذات الله وصفات الله تعالى القائمة به.

والمعرفة بأفعال الله تعالى توجب السكون[4] لعبادة الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾[5]، وطلب الثواب من الله، والفرار من عذاب الله، والإنفاق فى سبيل الله. قال الله تعالى: ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون**﴾[6].

حقيقة المعرفة:

فإن قيل: ما حقيقة المعرفة؟ قيل: رؤية الحق مع فقدان رؤية ما سواه حتى

(١) فى الأصل: يوجب.

(٢) فى الأصل: من.

(٣) رواه البخارى فى كتاب الإيمان من رد النبى ﷺ على سؤال جبريل عن الإيمان والإحسان؟ قال: ما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». وقد رواه أيضا كل من مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه والإمام أحمد.

(٤) فى الأصل: يوجب السكوت.

(٥) سورة الحجر: الآية ٩٩.

(٦) سورة السجدة: الآية ١٦.

يصير عنده جميع مملكة الله تعالى فى جنب رؤيته أصغر من خردلة فى جنب رؤية الله تعالى[١]. وهذا لا تحتمله[٢] قلوب أهل الغفلة. وأنشد شعرًا[٣]:

طلب الحبيب من الحبيب رضاه ... ومنى قلوب العارفين لقاه[٤]

أبدا يلاحظه[٥] بعين قلبه ... والقلب يعرف ربه ويراه

يرضى الحبيب من الحبيب بقربه[٦] ... دون العباد فما يريد سواه

(١) قوله: (فى جنب رؤية الله تعالى) تكرار لا داعى له حيث سبق ذكره فى نفس العبارة فى قوله: (فى جنب رؤيته).

(٢) فى الأصل: لا يحتمل.

(٣) معظم الأبيات الشعرية ـ الواردة فى مخطوطة هذه الرسالة ـ مخالف للموازين الشعرية. ونعتقد أن الناسخ ـ الذى لم تكن له على ما يبدو أية دراية بأوزان الشعر ـ قد وقع عند النسخ فى تلك الأخطاء التى أخلت بوزن الأبيات. وقد صححت ليستقيم وزنها واقتضى ذلك منا تغيير بعض الكلمات مع الاحتفاظ بالمعنى المقصود وسنذكر هنا فى الهوامش نص الأبيات قبل التصحيح. وفى هذا المقام نشكر الأخ الدكتور عبدالوهاب فايد الذى قام بتصحيح هذه الأبيات.

(٤) ورد هذا البيت فى الأصل كما يلى:

طلب العارف من المعروف رضاه ... ومنية العارفين من المعروف لقاه.

(٥) فى الأصل: ويلاحظه.

(٦) ورد هذا الشطر فى الأصل كما يلى:

يرضى العارف من المعروف بقربه

قال أبو يزيد ـ رحمة الله عليه ـ : إن فى الليل جندًا لله يقطعون لياليهم فى شوق إليه[١] وأنشد:

غرست الحب غرسا فى فؤادى ... فلا يسلو[٢] إلى يوم التلاق[٣]

وما فى الدهر أشقى من محب[٤] ... وإن وجد الهوى حلو المذاق

فيبكى أن نأى شوقا إليهم ... ويبكى أن دنا خوف الفراق[٥]

ملكت القلب منى باتصال ... وشوقى زائد والحب باد[٦]

سقانى شربة أحيا فؤادى ... بكأس الحب من بحر الوداد

فشوقى زائد والشوق ينمو ... وصبرى بائد والوجد باد[٧]

(١) وردت العبارة فى الأصل كما يلى: (إن فى الليل جنان الله وشوقا إليه فبذلك يقطعون لياليهم). وهى على هذا النحو غير واضحة المعنى، فضلا عن أن تركيبها غير سليم. ولهذا صححناها إلى ما نعتقد أنه الصواب، فالملاحظ أن الناسخ لم يكن يتحرى الدقة فيما ينقل، الأمر الذى جعله يقع فى الكثير من الأخطاء.

(٢) فى الأصل: يسلوا.

(٣) فى الأصل: (التنادى) وهذا لا يتفق مع قافية البيتين التاليين.

(٤) فى الأصل: محق.

(٥) فى الأصل:

فيبكى أنا أنادى وصوتًا إليهم ... ويبكى إن دنا خسوف الفراق

وتراه باكيًا فى كل حال فرقة واشتياق

(٦) ورد هذا البيت فى الأصل كما يلى:

«وخرجت القلب منى باتصال ... وشوق زائد والحب

(٧) ورد هذا البيت فى الأصل كما يلى:

فعشقنى زائدًا والشوق ينمو ... وصبرى زائد والوجد باد

فـــؤادى يا فـــؤادى يا فـــؤادى (كـــــأنك)[1] هـايم فـى كـل وادى

فلولا الله يحـــفظ عـــارفـــيـــه لهـــام العـــارفـــون بكل وادى

علامة العارف:

فإن قيل: ما علامة العارف؟ قيل: إن من علامة العارف أن ينظر إلى الدنيا بعين الاعتبار، وإلى[2] الآخرة بعين الانتظار، وإلى النفس بعين الاحتقار، وإلى الطاعة بعين الاعتذار، وإلى المعرفة بعين الاستبشار، وإلى الله بعين الافتخار.

وقال أبو القاسم الخرازى المغربى: «إن العارف يستغنى بكل شىء إلى أن يصل إلى الله، فإذا وصل إليه استغنى بالله عن غيره، وافتقر الناس إليه».

وقالت رابعة العدوية ـ رضى الله عنها ـ: «إن العارف استوهب قلبه من الله فوهب له، فلما تملك القلب دفعه[3] إلى مولاه ليكون فى قبضته محفوظًا، وفى ستره عن الخلق محجوبًا».

وقال ذو النون المصرى ـ رحمة الله عليه ـ: «وعند أهل المعرفة يجب ترك الذنوب استحياء من كرمه، (وخوفا)[4] من عقوبته».

وقال بعضهم: «شمس العوارف أضوأ من شمس النهار وأشرق، لأن شمس

(١) كلمة (كأنك) لم ترد فى الأصل، ولا يستقيم الوزن بدونها.

(٢) فى الأصل: وفى.

(٣) فى الأصل: ودفعه.

(٤) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل، ولكن سياق الكلام يقتضى إضافتها.

النهار قد تنكسف، وشموس القلب لا ينكسف[1] لها ضوء فى كل قالب، وشمس النهار تغرب بالليل دون شمس القلوب» وأنشد فيه:

إن شمس النهار ليلا تغيب ما لشمس القلوب فينا غروب[2]

شروط معرفة الله:

مسألة: لا يعرف العبد ربه حق المعرفة حتى يعرف ثلاثة أشياء: أحدها: أن يعرف الدنيا بالفناء، والثانى: أن يعرف الآخرة بالبقاء. والثالث: أن يعرف النفس بالخطاء[3].

فمن عرف الدنيا بالفناء اشتغل بالعبرة، وعلامته الإعراض عنها، ومن عرف العقبى بالبقاء اشتغل بالعبادة، وعلامته الحرص عليها، ومن[4] عرف النفس بالخطاء اشتغل بالعبودية، وعلامته ترك الجاه.

فإذا عرف هذه الأشياء كما ذكرنا فقد عرف المولى حق المعرفة، وعلامته[5] الإعراض عن النفس والدنيا و(الإقبال على)[6] العقبى.

(١) فى الأصل: لا تنكسف.

(٢) ورد هذا البيت فى الأصل على النحو التالى.

إن شمس النهار بالليل يغيب وشمس القلوب ليس لها تغرب ولا تغيب

(٣) الخطاء والخطأ ضد الصواب (انظر: لسان العرب).

(٤) فى الأصل: فمن.

(٥) فى الأصل: فعلامته.

(٦) الكلمتان غير موجودتين فى الأصل، ويتحتم إضافتهما وإلا كان الكلام متناقضًا. فالإعراض عن النفس والدنيا يقابله الإقبال على العقبى لا الإعراض عنها.

الفرق بين العبادة والعبودية:

فإن قيل: ما الفرق بين العبادة والعبودية؟ قلنا: العبادة إثبات الطاعة، والعبودية الغيبة عن رؤية الإخلاص فى الطاعة.

فصل فى حجاب العبد عن ربه

اعلم أن كل ما يحجب العبد عن الله تعالى فهو النفس. والنفس أربعة أشياء: الفرح والخلق والمال والجاه. فمن ترك الخلق والفرح فقد أعطى الحكمة والقربة. ومن ترك المال والجاه فقد أعطى له الرضا والرؤية.

قال[1] رجل عند الجنيد ـ رحمة الله عليه ـ: حجاب العبد عن الله ثلاثة أشياء: النفس والخلق والدنيا. فقال جنيد رضي الله عنه: وهذا حجاب العام. فأما حجاب الخاص (فهو)[2] ثلاثة أشياء: رؤية الطاعة، ورؤية الثواب للطاعة، ورؤية الكرامة.

حقيقة الدنيا:

فصل: حقيقة الدنيا هى الحياة الأولى التى يليها الموت والفناء، ولا يبقى أحد من المخلوقات، وطالبها كالخنافس[3] التى تعشق العذرة. وهى للصالح والعابد كالسجن. والعابد والصالح لا يطمئنان[4] فيها. وليس لها بقاء ولا قرار

(١) فى الأصل: فقال.

(٢) فى الأصل: (فأما حجاب الخاص ثلاثة).

(٣) فى الأصل: كالخنافيس.

(٤) فى الأصل: لم يطمئنا.

ولا اعتبار: أولها بقاء وآخرها فناء، والآخرة هى الحياة الباقية التى ليس لها زوال ولا فناء. وقال الله تعالى: ﴿**ما عندكم ينفد وما عند الله باق**﴾[1].

الجنـــة:

واعلم أن الجنة جنتان: جنة مؤجلة وجنة معجلة. فالجنة المؤجلة هى الثواب والنعمة، والجنة المعجلة حلاوة[2] الخدمة[3]، وكثرة العبادة والرياضة، وترك الدنيا من جميع المعاملات وترك الأشياء سوى الله تعالى.

الرؤيـــة:

فصل: اعلم أن الرؤية رؤيتان: رؤية مؤجلة ورؤية معجلة، فالرؤية المؤجلة هى النظر إلى الله تعالى فى الجنة فى مقام[4] المحاضرة، والرؤية المعجلة الشهود والمشاهدة.

الخدمة والحرمة:

فصل: اعلم أن الخدمة لأهل المعاملة هى[5] الحرمة لأهل المعرفة. فإن قيل:

(١) سورة النحل: الآية ٩٦.

(٢) فى الأصل: حلوات.

(٣) يذكر الغزالى بعد قليل المقصود بهذا المصطلح.

(٤) فى الأصل: المقام.

(٥) فى الأصل: هو. وقد جاء فى القاموس المحيط: الحرمة بالضم وبضمتين وكهمزة ما لا يحل انتهاكه والذمة والمهابة والنصيب ﴿**ومن يعظم حرمات الله**﴾ أى ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه.

ما الفرق بينهما؟ قيل: الخدمة حركة الجسد[1] بالأمر والأمن، والحرمة سكون القلب عند الأمر من الأمن. فالأمر بالخدمة والأمن من الأمن[2]، فالخدمة توصل إلى العقبى والحرمة توصل إلى رؤية المولى. قال[3]: الخدمة كبضاعة والحرمة كرحم[4] والرؤية كرواج البضاعة. وكل بضاعة ليس لها رواج لا تكون لها قيمة، فكذلك إذا لم يكن معها حرمة لم تكن منها منفعة.

فصل فى الهمة والإرادة والمنية

فصاحب الهمة أن[5] يكون فى طريقه سائرًا، وصاحب الإرادة أن يكون فى طريقه وافقًا[6] متوافقًا. وقيل: صاحب الهمة أن يكون بمقصده واصلاً، وصاحب الإرادة أن يكون فى طريقه سائرًا، وصاحب المنية أن يكون على الطريق ساقطًا. وقيل[7]: صاحب الهمة حر عن قيد الوسائط والحجاب، وصاحب الإرادة حر عن الحجاب ومقيد بقيد الوسائط، وصاحب المنية مقيد

(١) فى الأصل: الجد.

(٢) هكذا فى الأصل. ولعل الصواب: والأمن من الحرمة، ليتم التقابل بين الخدمة والحرمة، ويكون المقصود: والأمن ناتج من الحرمة أى من مراعاة الحرمة.

(٣) لعل فى التعبير بقال وبأنشد قبل ذلك ما يدل على أن الناقل كان يكتب ما يقوله الغزالى أو ما يمليه عليه مباشرة.

(٤) هكذا فى الأصل والمقصود بذلك فى هذا المقام غير واضح.

(٥) فى الأصل: لا. بدلا من: أن.

(٦) هكذا فى الأصل ولعلها واقفا ليتم التقابل مع قوله سائرًا قبل ذلك.

(٧) فى الأصل: قيل.

بقيد الحجاب والوسائط (جمع الواسطة). وقال جنيد ـ رحمة الله عليه ـ : صاحب الهمة ذكر، وصاحب الإرادة خنثى، وصاحب المنية أنثى، وقيل: الهمة فى السر، والإرادة فى القلب، والمنية فى النفس.

فصل فى التجريد والتفريد

اعلم أن التجريد للعام[1] والتفريد للخاص، والتجريد هو المجرد الظاهر عن الأغراض والباطن عن الأعراض[2]، وعوض العقبى: معناه لا يطلب غرض الدنيا. والتفريد هو التفرد عن أحواله وأفعاله حتى أن جميع مراده هو الله تعالى. وقيل: التجريد انقطاعك عما سواه، والتفريد غيبتك عن رؤية ما سواه[3].

وقيل: التجريد وداع الشهوة، والتفريد طلاق[4] الشهوة. وقيل: التجريد ترك الدنيا لأجل العقبى، والتفريد ترك العقبى لأجل المولى. وقيل: التجريد ارتفاع الاعتماد عن الوجود، والتفريد هو الاعتماد فى كل شىء على المعبود، يحصل كل المقصود.

(١) فى الأصل: للعالم.

(٢) فى الأصل: الأمراض.

(٣) انظر فى ذلك أيضًا عوارف المعارف للسهروردى على (هامش الإحياء ٤٦٢/٤) حيث يقول: إن التجريد يعنى أن يتجرد العبد عن الأغراض فيما يفعله، لا يأتى بما يأتى به نظرًا إلى الأغراض فى الدنيا والآخرة، بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده، عبودية وانقيادًا، والتفريد ألاّ يرى نفسه فيما يأتى به، بل يرى منة الله عليه. فالتجريد بنفى الأغيار، والتفريد بنفى نفسه واستغراقه فى رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه.

(٤) فى الأصل: إطلاق.

فصل فى المجاهدة والمكاشفة والمشاهدة

اعلم أن المجاهدة ظهور الجهد والقدرة فى ميدان الجهد، والمكاشفة رفع الشبهة عن القلب فى ميدان المعرفة، والمشاهدة حضور السر مع الحق فى مقام الخلوة الملكوتى[1].

وقيل: المجاهدة نار مع نار، والمكاشفة نور مع نور، والمشاهدة نور على نور.

وقيل: المشاهدة على ثلاثة أنواع: مشاهدة المريدين وهى رؤية القلب، ومشاهدة الصديقين وهى خلو القلب بصدق الحق. قال الله تعالى: ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**﴾[2]، وهى[3] خلو القلب عما سوى الرب

(١) ورد عن أبى عبدالله الدقاق قوله: من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة. قال الله تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾. وورد عنه أيضًا قوله: من لم يكن له فى بدايته قومة لم يكن له فى نهايته جلسة. وورد عن الشيخ عبدالرحمن السلمى قوله: سمعت أبا عثمان المغربى يقول: من ظن أنه يفتح له شىء من هذه الطريقة أو يكشف له عن شىء منها إلا بلزوم المجاهدة فهو فى غلط. (انظر الرسالة القشيرية ص٥٢، طبع الحلبى ١٩٤٠م). وعن المكاشفة والمشاهدة يقول القشيرى أيضا (ص٤٣): المحاضرة ابتداء ثم المكاشفة ثم المشاهدة. فالمحاضرة حضور القلب وقد يكون بتواتر البرهان، ثم بعده المكاشفة وهى حضوره بنعت البيان غير مفتقر فى هذه الحالة إلى تأمل الدليل وتطلب السبيل.. ثم المشاهدة وهى حضور القلب من غير بقاء تهمة. فصاحب المحاضرة مربوط بآياته، وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته، وصاحب المشاهدة ملقى بذاته. وصاحب المحاضرة يهديه عقله، وصاحب المكاشفة يدنيه علمه، وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته.

(٢) سورة الحديد: الآية ١٦.

(٣) أى مشاهدة الصديقين.

وأمره وما نزل[1] من الحق. ومشاهدة العارفين هى الرؤية المعروفة فى كل شىء، كما قالت الخلواتية فى الخلوات[2]، ولكن على معنى أنه رأى فى المخلوق آثار قدرته، كما قال الشاعر:

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد[3]

فصل فى الأدب والهيبة والتعظيم

اعلم أن الأدب سبب لارتفاع الحجاب، والهيبة سبب انكشاف الحجاب، والتعظيم سبب فقدان الحجاب.

وقيل: الأدب من المحب، والهيبة من المحبوب، والتعظيم من الحبيب.

والأدب على نوعين: أدب الظاهر وأدب الباطن، فأما أدب الظاهر أن تحفظ نفسك عن الشهوة، وأدب الباطن أن تحفظ قلبك عن الخطرات[4].

(١) فى الأصل: (ما نزل من الحق) بدون الواو.

(٢) فى الأصل: الخلوة.

(٣) ورد البيت فى الأصل: بدون (له) فى الشطر الأول، وبدون أداة التعريف فى كلمة (الواحد) فى الشطر الثانى.

(٤) الأدب هو ما يتولد من صفاء القلب وحضوره، ويقال: وضع الأشياء موضعها، ويقال: حسن المعاملة. ويتولد الأدب من الحياء والهيبة والشفقة؛ ويقال: الأدب مجالسة الخلق على بسيط الصدق، ومطالعة الحقائق بقطع العلائق. (انظر: شرح شيخ الإسلام أبى يحيى زكريا الأنصارى على الرسالة القشيرية بهامش الرسالة ص١٤٠).

فصل فى الخواطر

اعلم أن الخواطر على أربعة أشياء: خاطر من الله، وخاطر من الملائكة، وخاطر من النفس، وخاطر من العدو، فالذى من الله تنبيه، والذى من الملائكة حث على الطاعة، والذى من النفس مطالبة[1] من الشهوة، والذى من العدو يزين[2] المعصية. فبنور التوحيد يقبل[3] من الله تعالى، وبنور المعرفة من الملك، وبنور الإيمان ينهى[4] النفس، وبنور الإسلام يرد على العدو[5].

(١) فى الأصل: مطالبته.

(٢) فى الأصل: تزين.

(٣) أى يقبل الخاطر.

(٤) فى الأصل: تنهى.

(٥) انظر عوارف المعارف للسهروردى ـ بهامش كتاب الإحياء ٢٦٥/٤ ـ حيث يقول: «سمعت الشيخ أبا محمد بن عبدالله البصرى بالبصرة يقول: الخواطر أربعة: خاطر من النفس وخاطر من الحق، وخاطر من الشيطان، وخاطر من الملك. فأما الذى من النفس فيحس به من أرض القلب، والذى من الحق من فوق القلب، والذى من الملك عن يمين القلب، والذى من الشيطان عن يسار القلب. والذى ذكره إنما يصح لعبد أذاب نفسه بالتقوى والزهد، وتصفى وجوده، واستقام ظاهره وباطنه، فيكون قلبه كالمرآة المجلوة لا يأتيه الشيطان من ناحية إلا ويبصره، فإذا اسود القلب وعلاه الرين لا يبصر الشيطان». وانظر أيضا فى الكتاب نفسه بعض العبارات الواردة هنا حرفيا حيث يقول (٢٧٢/٤ وما بعدها): «وقيل: بنور التوحيد يقبل الخاطر من الله تعالى، وبنور المعرفة يقبل من الملك، وبنور الإيمان ينهى النفس، وبنور الإسلام يرد على العدو».

التوحيد والمعرفة والإيمان والإسلام:

فإن قيل: ما حقيقة التوحيد والمعرفة والإيمان والإسلام؟

قيل: التوحيد سر وهو (أمر يعجز الخلق)[1] عن دركه، والمعرفة هى[2] أن يعرف الحق بذاته وصفاته، والإيمان عقد القلب بحفظ السر ومعرفة[3] البر، والإسلام مشاهدة الحق بكل ما أنت به مطالب.

فصل فى بيان الشريعة والحقيقة

اعلم أن الشريعة ترك جميع الخلافات فى[4] العلم، ويرى (المرء)[5] الحق بتحصيل المعرفة والعقل والفهم، ويرى من الباطن الجهل ويرى العلم والفقه، ومعناه: انتهاء ما زجر وإتيان ما أمر. والحقيقة التوحيد والإيمان. فعلم الشريعة يورث النجاة، وعلم الحقيقة يورث الكرامة[6].

(١) فى الأصل: تزيد الحق، بدلا من الكلمات التى أوردناها بين القوسين.

(٢) فى الأصل: هو.

(٣) فى الأصل: والمعرفة.

(٤) فى الأصل: من.

(٥) كلمة (المرء) لم ترد فى الأصل.

(٦) انظر أيضا الرسالة القشيرية ص٤٦: «الشريعة أمر بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية. فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول. فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق. فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده، والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر.

فصل فى الحكمة

لا ينبغى لأهل الحكمة أن يتواضعوا[1] لأهل الدنيا، لأن الله تعالى سمى (متاع)[2] الدنيا قليلا. قال الله تعالى: ﴿**قل متاع الدنيا قليل**﴾[3]. وسمى الحكمة (خيرًا)[4] كثيرًا. قال الله تعالى: ﴿**يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا**﴾[5].

فإن قيل: ما حقيقة الحكمة؟

قيل: الحكمة نور يفرق بين الإلهام والوسوسة. وقيل: الحكمة تنزل من السماء كل ليلة، ولا تسكن[6] فى قلب ابن آدم (إذا كان)[7] فيه أربعة أشياء: ميل الدنيا، وهم الرزق، وحسد الإخوان، وحب الجاه.

وقيل: الحكمة حفظ ثلاثة أشياء فى ثلاثة أوقات إذا كنت قائلا أو فاعلا أو متفكرًا: فإذا كنت قائلا فاذكر سمعه تعالى، وقل ما يصلح لسمعه؛ وإذا كنت فاعلا فاذكر رؤية الله تعالى لك[8] فافعل ما يصلح لرؤيته. وإذا كنت متفكرًا فى شىء فاذكر علم الله تعالى بك فتفكر فيما يصلح لعلمه، لأن الله تعالى قال: ﴿**إننى معكما أسمع وأرى**﴾[9].

(١) فى الأصل: أن يتواضع.
(٢) كلمة (متاع) لم ترد فى الأصل.
(٣) سورة النساء: الآية ٧٧.
(٤) كلمة (خيرًا) لم ترد ى الأصل.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.
(٦) فى الأصل: لا يسكن.
(٧) فى الأصل: من، بدلا من (إذا كان).
(٨) فى الأصل: عليك.
(٩) سورة طه: الآية ٤٦.

فصل فى الفناء والبقاء

اعلم أن الفناء قيام العبد بعبادة الله تعالى، والبقاء رؤية الحق فى العبادة.

قيل: من فنى عن غير الحق بمشاهدة فقد صح فناؤه، ومن صح فناؤه عن رؤية الفناء فقد صح بقاؤه، لا يصل العبد إلى مقام البقاء حتى يفنى من صفات نفسه[1]. قيل: صفات النفس فسادها فى الطاعة، والإكثار من المعصية، وهى طالبة للرياء والفرح والسرور، وهى سكرانة فى عمل الآخرة، وهى فى الكيد كالكلب العقور، وفى الفقر كالمريض الذى كثر مرضه. وأنت فى الراحة تقول: نفسى وعصيت ربى. وإذا غفلت عن صفاتها تقتلك، وكل من غفل عنها فى هذه الحالات غرق فى بلائها. وكل من غلب نفسه على قلبه سلب قلبه. ومن كان ظالما لها وقتلها بالظلم نجا[2] من شرها، وأمن من مكائدها قال الله تعالى: ﴿**ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدًا**﴾[3]. واسمع هذه الآية

(١) للصوفية أقوال كثيرة فى الفناء والبقاء، ومن هذه الأقوال يقتطف ما يلى:
الفناء أن يفنى المرء عن الحظوظ فلا يكون له فى شىء حظ، بل يفنى عن الأشياء كلها شغلا بمن فنى فيه، والبقاء يعقبه وهو أن يفنى عما له ويبقى بما لله تعالى؛ ويقول الخراز: الفناء هو التلاشى بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق؛ ويقول إبراهيم بن شيبان: علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية وصحة العبودية، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة. انظر فى ذلك: عوارف المعارف للسهروردى على هامش كتاب الإحياء ٤/٤٤٠ وما بعدها.
(٢) فى الأصل: نجى.
(٣) سورة الكهف: الآية ٣٥.

واعتبر فى معناها[1] وأنه[2] النفس، وتأمل فى آية أخرى. قال الله تعالى: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾[3] والظلم لها[4] أن يمنعها من صفاتها.

فصل فى الذكر

اعلم أن الذكر على ثلاث طبقات: فذاكر بلسانه تسبيحًا وتحميدًا وتكبيرًا يدعوه بأسمائه، ويثنى عليه بصفاته العليا، وقد[5] انشرح صدره بنوره، واطمأن قلبه بذكره، وشهد مذكوره، فذكره له أنيس، وهو لديه جليس تلذذ بالثناء عليه، فيشغل عن سؤاله والطلب منه. قال الله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾[6]، يعنى (أكبر)[7] قدرًا فى قلب الذاكرين، إن يرجع منه إلى حظوظ نفسه وسؤال حاجته يعطه[8] الله أفضل ما يعطى السائلين سؤالهم. وذاكر بقلبه معظم لربه، شاهد لقربه لم يذكره[9] عن نسيان حين جرى بذكره اللسان، فكان كما قال الشاعر:

ذكرنا وما كنا لننسى فنذكر ولكن نسيم القرب يبدو فيبهر

(١) فى الأصل: معناه. (٢) فى الأصل: وانهى.

(٣) سورة فاطر: الآية ٣٢. والمقصود بظلم النفس فى هذه الآية هو التقصير فى العمل بما جاء به القرآن المشار إليه قبل ذلك فى قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾.

(٤) فى الأصل: عليها.

(٥) فى الأصل: بدون قد. (٦) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

(٧) فى الأصل: بدون كلمة (أكبر).

(٨) فى الأصل: فيعطيه. ولعل صواب التعبير فى العبارة هو: «إن يرجع منه عن حظوظ نفسه ... إلخ».

(٩) فى الأصل: لم يذكروه.

أسكنه[1] الخلاص فسكن، وأسكرته خشية الحق جل وعلا، أتى بذكره بلسانه ولم يغب لحظة عن جنانه، يراه من حيث هوية عقله[2] ويشاهده[3]، ويثنى عليه بصفة نفسه ذلة[4]، كما قال الله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ يعنى أكبر من أن تجرى[5] به الألسن على ما يستحقه، أو تبلغه الأوهام على ما يليق به، كما قال النبى ﷺ: «لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[6].

وذاكر شاهد ذكر ربه له فى أزله، حيث لا رسوم ولا فهوم ولا علم ولا معلوم. بصدق الله كانوا موحدين، وبالعلم (كانوا)[7] موجودين له علمًا إذ كانوا معدومين رسما، وكانوا مذكورين ولا ذكر لهم، ومعلومين ولا علم لهم، ومرادين ولا إرادة لهم، ومطلوبين ولا طلب لهم، ومختارين ولا اختيار لهم. ولما شاهدوا هذه الأحوال أسقطوا[8] الطلب والسؤال، وكانوا فى عين ومعين[9] فى حال

(١) أى أسكن قلبه. وفى الأصل: أسكنته.

(٢) لعل المراد: يراه رؤية عقلية.

(٣) فى الأصل: ومشاهده.

(٤) أى فى ذلة وخضوع.

(٥) فى الأصل: يجرى.

(٦) رواه مسلم من حديث عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك فى سجوده (انظر: هامش الإحياء ١٠٦/١ - الحلبى ١٩٣٩).

(٧) فى الأصل: بدون (كانوا).

(٨) فى الأصل بزيادة (فى) بعد أسقطوا.

(٩) الماء المعين أى الجارى الذى تناله الأيدى والدلاء. ولعل المقصود بقوله:(وكانوا فى عين ومعين) الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿فيها عين جارية﴾. (سورة الغاشية: الآية ١٢) وقوله تعالى فى سورة الملك الآية ٣٠: ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورًا فمن يأتيكم بماء معين﴾.

وجودهم، كما كانوا فى حال عدمهم، تسليما لأمره وتركا للاعتراض. فالطبقة الأولى هم المتذكرون، والثانية ذاكرون، والثالثة مذكورون[1].

من هو الولى؟

فصل: الولى هو المحب والناصر. ومعنى نصرته ظاهر، فإنه يقمع أعداء الدين وينصر أولياءه. قال الله تعالى: ﴿**الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾[2]. وإن الكافرين لا مولى، أى لا ناصر لهم.

فصل: والولى من العباد من يحب الله ويحب أولياءه، وينصرهم، ويقهر أعداءه، ومن أعدائه نفسه وشيطانه، فمن خذلهما ونصر أمر[3] الله، ووالى أولياء الله تعالى، وعادى أعداءه فهو الولى.

وقيل: الولى من يكون لدينه ويقيم بربه، ولا يكون لنفسه ومعناه سقوط حظ نفسه وقيامه بحقوق الحق بعد زوال نفسه. ولا يزول النفس إلا بترك الفعل والأفعال، والزجر[4] والرجم والظلم الأعظم. وما الظلم الأعظم إلا بكثرة الجوع حتى تذل[5]

(١) يقول القشيرى: من خصائص الذكر أنه غير مؤقت، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله تعالى إما فرضًا وإما ندبًا، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز فى بعض الأوقات، والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات. قال الله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم﴾ ومن خصائص الذكر أيضًا أنه جعل فى مقابلته الذكر. قال الله تعالى: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾. (انظر: الرسالة القشيرية ص ١١١ وما بعدها).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

(٣) فى الأصل: من أمر الله.

(٤) أى وبالزجر.

(٥) فى الأصل: تذلل.

فى حالها. وأحواله[1] كمثل مريض[2] فى حال فرقة. وهذا زوال نفسه وبالله التوفيق.

فصل فى الابتداء والانتهاء

اعلم أن الابتداء والانتهاء على ثلاثة أوجه: ابتداء العام وابتداء الخاص وابتداء خاص الخاص. وأما ابتداء العام فنسيان المعصية بحفظ الداعية. وبحفظ الطاعة يدخل فى الخدمة بموافقة الكتاب والسنة حتى ينتهى إلى النجاة من العذاب ويدخل دار النعمة. وأما (ابتداء)[3] الخاص فكثرة الجوع مع الكرامات حتى فى الكرامات، وطلب قهر النفس والشهوات، وترك المفارقة للخدمة والذكر والقرآن. فلا يسمع شيئًا إلا بالذكر والقرآن، وخدمة الرب جل جلاله، ولا يسمع أذنه صوت المنهيات والغيبة والنميمة والكذب والزور والبهتان والكيد والغضب والحقد والظلم. ويترك جميع ما مضى من الأيام والأوقات، باكيا على مضى الأيام والأوقات، ويفر من المخلوقات، ويتوكل على الله فى الخلوات، ويحرس نفسه فى الظاهر والباطن من كل الآفات، يحرق ويخوف وساوس عدوه بالإرادة، ويسير بسر الهمة فى المملكة، فيرى[4] ملك المالك ولا يشتغل به، لأن[5] طالب المالك لا يسكن قلبه غير الملك. وفناؤه فى الملك[6] وقتا

(١) أى أحوال الولى.

(٢) فى الأصل: كمثل مريض الذى.

(٣) كلمة (ابتداء) لم ترد فى الأصل.

(٤) فى الأصل: فرأى.

(٥) فى الأصل: لأنه.

(٦) فى الأصل: وفناؤه بعد الملك.

في الثرى ووقتًا فى الشرق ووقتًا فى الغرب. ويسير إلى السماء، ومن السماء إلى السماء حتى يبلغ الانتهاء[1] فيرى النار ولا يخاف منها، ويدخل الجنة ويجلس مع أرواح الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، ولا يسكن حتى يبلغ مراده[2] من ابتدائه[3] إلى انتهائه. وأما ابتداء خاص الخاص (فذلك)[4] بأن يظهر عليه نور من نور الله تعالى، فيظهر بنور الله كل مخالف وموافق. فيفنى عن الأشياء الموافقة وعن كل حظ من حظوظاته[5] النفسانية، فيظهر له بحر الوحدانية، ويغرق فى لجج بحر الهيبة والعظمة فيسمع: يا ولى، إذا فنيت فها أنا ذا[6].

فصل فى البلاء

قال الله تعالى: ﴿**وليبلى المؤمنين منه بلاءً حسنًا**﴾[7]. وقال ﷺ: «**إن الله تعالى ادخر البلاء لأوليائه كما ادخر الشهادة لأحبائه**»[8].

اعلم أن البلاء على ثلاثة أوجه: بلاء النفس وبلاء القلب وبلاء الروح. فبلاء النفس بالفقر والفاقة والجوع ومنع السؤال عند الحاجة. وبلاء القلب بزوال نار

(١) فى الأصل: فى الانتهاء، والصواب حذف حرف الجر. فالفعل بلغ يتعدى بنفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾.

(٢) فى الأصل: إلى مراده.

(٣) فى الأصل: وابتدائه بدون حرف الجر (من).

(٤) فى الأصل: بدون كلمة (فذلك).

(٥) فى الأصل: حظوظات.

(٦) فى الأصل: فها أنا إذا.

(٧) سورة الأنفال: الآية ١٧.

(٨) لم نعثر على هذا الحديث فى كتب السنة.

المحبة، والحجاب بينه وبين المشاهدة. وبلاء الروح بالفراق من القرب عن القربى[1].

قيل: نزول البلاء لأجل فناء النفس والهوى حتى يبقى القلب فى الصفاء فيعيش بعد ذلك مع الحق بالوفاء[2].

فصل فى السكر

اعلم أن السكر[3] على ثلاثة أوجه: سكر المحبين وسكر العارفين وسكر الواصلين. فسكر المحبين غلبات الشوق إلى المشاهدة، وسكر العارفين من كشف المشاهدة. وقدر المشاهدة لا يعرفه[4] – من غير الكون فى الكون – غير

(١) فى الأصل: القربة.

(٢) تحدث الغزالى عن البلاء والابتلاء فى الإحياء وكذلك فى منهاج العابدين حيث يقول فى هذا الكتاب (ص ١٠٧ مكتبة الجندى ١٩٥٤): إن طالب الآخرة أشد ابتلاء وأكثر محنة أبدًا. ويذكر فى هذا الصدد الحديث الشريف: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الأمثل فالأمثل**». وقوله تعالى: ﴿**لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرًا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور**﴾. (سورة آل عمران: الآية ١٨٦). ثم يذكر الغزالى بعد ذلك ما يروى عن الفضيل رحمه الله أنه قال: من عزم على قطع الطريق للآخرة فليجعل فى نفسه أربعة ألوان من الموت: الأبيض والأحمر والأسود والأخضر. فالموت الأبيض الجوع، والأسود ذم الناس، والأحمر مخالفة الشيطان، والأخضر الوقائع بعضها على بعض.

(٣) يقال فى السكر أيضًا إنه استيلاء سلطان الحال وعن محمد بن خفيف: السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب .. والسكر لأرباب القلوب. والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب: انظر عوارف المعارف على هامش كتاب الإحياء ٤٦٤/٤ وما بعدها.

(٤) فى الأصل: لا يعرف.

العارفين. وسكر الواصلين متجدد، يتجدد وقتًا. هذه[1] صفات صاحب النظر وليست[2] بصفات صاحب الخبر[3]، كما قال الله تعالى فى شأن صاحب موسى عليه السلام: ﴿**فإنى نسيت**﴾[4] وفى حق شأن النبى ﷺ: ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾[5]. وصاحب الخبر[6] من أمر بهذه الحالات، وصاحب النظر من بلغ النهاية، كما قال الله تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة ● إلى ربها ناظرة**﴾[7].

عود إلى أقسام النفس:

فائدة: النفس الأمارة وهى عبارة عن البخل والحرص والجهل والكبر والشهوة والحسد والغضب. والنفس اللوامة وهى عبارة عن المكر والقهر والعجب والغنى والعشرة أى المحبة[8]. والنفس الملهمة عبارة عن السخاء والشجاعة والقناعة والعلم والتواضع والتوبة والصبر والتحمل. والنفس

(١) فى الأصل: هذا.

(٢) فى الأصل: ليس.

(٣) فى الأصل: الخير.

(٤) سورة الكهف: الآية ٦٣ وقد وردت فى الأصل «إنى نسيت».

(٥) سورة النجم: الآية ٩.

(٦) فى الأصل: الخير.

(٧) سورة القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٨) الكلام هنا عن النفس الأمارة واللوامة والمطمئنة فيه تكرار لما سبق قوله فى أوائل هذه الرسالة. ولكن الغريب فى الأمر هو أن الأوصاف التى وصفت بها النفس اللوامة هنا هى الأوصاف ذاتها التى وصفت بها النفس الأمارة هناك. وهذا لا يستقيم، إذ إن النفس اللوامة – والتى أقسم الله بها فى سورة القيامة – هى – كما جاء فى تفسير الكشاف للزمخشرى – النفس المتقية التى تلوم النفس فيه، =

المطمئنة عبارة عن التوكل والتذلل والعبادة والشكر والرضا والجود. والنفس الراضية وهى عبارة عن الكرامة والإخلاص والورع والرياضة والذكر والوفاء. والنفس المرضية وهى عبارة عن التقرب والتفكر والكرم والخلق الحسن واللطف. والنفس الصافية وهى عبارة عن الذل والانكسار والفاقة والافتقار والسلام.

تمت على يد الفقير ملا محمد الكردى بن ملا عبد النبى – غفر الله لهما ولسائر المسلمين أجمعين – فى سنة ١١٩٨[1].

= أى فى يوم القيامة على تقصيرها فى التقوى، أو التى لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت فى الإحسان. وعن الحسن: أن المؤمن لا تراه إلا لائمًا نفسه، وأن الكافر يمضى قدما لا يعاتب نفسه فلا يجوز أن توصف هذه النفس إذن بالأوصاف المشار إليها من المكر والقهر الخ.

ولعل الناسخ قد خلط سهوًا أثناء النسخ بين أوصاف النفس الأمارة واللوامة. وهناك احتمال آخر وهو أن يكون ما ذكر ابتداء من قوله: (فائدة) حتى النهاية إضافة من الناسخ وليس من صلب الرسالة. ولعل مما يقوى هذا الاحتمال أن الغزالى قد سبق أن تحدث فى أول الرسالة عن تقسيم النفس فلا داعى للحديث عنه مرة ثانية فضلا عن أن ارتباط هذا الكلام الوارد عن تقسيم النفس هنا بما قبله ارتباط ضعيف أو معدوم أصلا.

(١) بعد أن انتهى الناسخ من الرسالة ذكر بعض الأقوال الواردة فى كل من مالك بن دينار وداود الطائى وبشير الحافى وغيرهم، وأشار إلى أن هذه الأقوال واردة فى الرسالة القشيرية. ونرى أنه ليس هناك داع لأن نوردها هنا.

الرسالة الثالثة

رسالة فى معرفة النفس

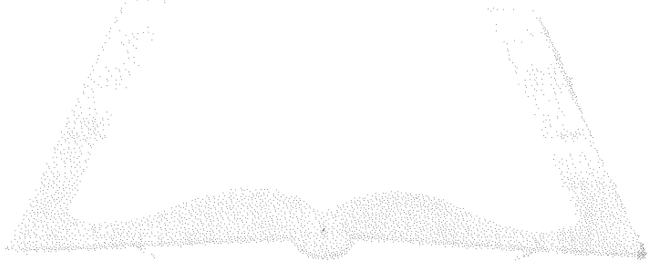

الرسالة الثالثة

رسالة فى معرفة النفس

تقديم الرسالة:

ذكر الدكتور بدوى[1] هذه الرسالة تحت رقم ٤٢٢ فى كتابه عن (مؤلفات الغزالى) على أنها: «رسالة فى معرفة النفس ومعرفة الله ومعرفة الدنيا ومعرفة الآخرة». وذكر أنها موجودة ضمن مجموعة رسائل برقم ٣٥٠ مجاميع طلعت بدار الكتب المصرية؛ ولها ترجمة إلى التركية فى نفس المجموعة من ورقة ١٦ إلى ٣٠ بقلم شمس الدين السيداسى - بعنوان (منازل العارفين). وهناك أيضًا فى الظاهرية بدمشق رسالة بعنوان «رسالة فى معرفة النفس» برقم هك ع٤٩.

وقد ذكر الدكتور بدوى أيضًا رسالة أخرى للغزالى تحت رقم ٤٠٤ من كتابه[2]، وعنوانها (رسالة فى مبنى الإسلام). ونعتقد أنها هى نفس الرسالة التى نحن بصددها والتى تبدأ بقوله: «اعلم أن مبنى الإسلام على أمور أربعة: معرفة النفس ومعرفة الله ومعرفة الدنيا ومعرفة الآخرة».

ولم يتيسر لنا الحصول على نسخة من مخطوط الظاهرية بدمشق، ولكننا حصلنا على نسخة من مخطوط دار الكتب المصرية المشار إليه. وكانت المفاجأة هى أن هذا المخطوط هو نسخة أخرى من المخطوط رقم ٨٨٠ تصوف طلعت بدار الكتب المصرية بعنوان: (رسالة فى المعرفة). ولكن المخطوط الأول أقدم.

---

(١) مؤلفات الغزالى للدكتور بدوى ص ٤٤٩.

(٢) المرجع السابق ص ٤٣٩.

فتاريخ نسخ المخطوط ٨٨٠ تصوف طلعت هو - كما سبق أن ذكرنا[1] عام ١١٦٧هـ على يد محمد سالك، وعدد أوراقه ١١ ورقة ومسطرته ٢٣ سطرًا، ومكتوب بخط النسخ الواضح. أما المخطوط رقم ٣٥٠ مجاميع طلعت فيشتمل على ست لوحات، ومكتوب بخط غير معتاد، وتتراوح مسطرته بين ٢٣، ٢٩ سطرًا. وقد تم نسخه - كما هو وارد فى نهايته - بعد صلاة الظهر من يوم السبت السابع من شهر شوال عام ١٠٧٩هـ، على يد «ابن الشيخ محمد محمد أمين» وذلك من نسخة كتبها قطب العارفين شمس الدين السيداسى.

ومن ذلك يتضح أن المخطوط الأخير وهو رقم ٣٥٠ مجاميع طلعت بدار الكتب المصرية أقدم من المخطوط رقم ٨٨٠ تصوف طلعت بنحو ٨٨ عاما، ولهذا اتخذناه أصلا فى التحقيق ورمزنا إليه بحرف (أ)، وقابلناه على المخطوط رقم ٨٨٠ تصوف طلعت بدار الكتب المصرية ورمزنا إلى هذا الأخير بحرف (ب).

وقبل أن نورد نص الرسالة نود أن نلقى أولا نظرة على الموضوعات التى تضمنتها هذه الرسالة فنقول:

يعالج الغزالى فى هذه الرسالة أربعة موضوعات أساسية يقوم عليها البناء الإسلامى وهى معرفة النفس، ومعرفة الله تعالى، ومعرفة الدنيا، ومعرفة الآخرة.

ونظرًا لأن طبيعة الموضوعين الأولين متداخلة فإنه لم يفرد كل واحد منهما ببحث مستقل، بل تناولهما معا باعتبار أن معرفة النفس تعد مدخلا أو مفتاحًا لمعرفة الله استنادًا إلى حديث شريف يردده فى كثير من كتبه وهو أن: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».

(١) انظر ذلك فى تقديمنا لرسالة الغزالى فى بيان معرفة الله.

وهنا يتحدث الغزالى عن خلق الإنسان من شيئين أساسيين وهما الجسد والقلب. ويفصل القول فى الكلام على الجسد وعجائب صنعه ووظائف أعضائه، ويبين أن من يتأمل فى عجائب صنع الله فى جسده، فإنه لاشك سيصل إلى معرفة أن الله هو الحق المتصف بكل صفات الكمال.

ثم يتحدث بعد ذلك عن القلب ومزيته على الجسد من جهة العلم ومن جهة القدرة، ويبين أن هذا الجسد مسخر للقلب. وفى معرض حديثه عن القلب يتحدث عن التأثيرات التى تؤثر فى القلب، والناتجة عما يفعله الإنسان من خير وشر. ويسمى هذه التأثيرات أخلاقًا. ويفصل القول فى الحديث عن الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة. ويقسم الأخلاق إلى أخلاق البهائم وأخلاق السباع وأخلاق الشياطين وأخلاق الملائكة؛ ويبين أن الإنسان مطالب بأخلاق الملائكة، ومطالب بالتغلب على الأنواع الأخرى من الأخلاق. فالإنسان إذا كان مشاركا للحيوانات فى أمور معينة فإن شرفه وفضله وكرمه لا يتمثل فى هذه المشاركة، وإنما فيما أنعم الله عليه من علم ومعرفة وعقل. وبذلك يختم الغزالى حديثه عن الأصلين الأولين وهما معرفة النفس ومعرفة الله.

ثم يتحدث عن الأصل الثالث وهو معرفة الدنيا، ويبين أن الدنيا منزل من منازل السائرين إلى الله تعالى. وفى هذا المقام يتحدث عن الإنسان بين الكمال والنقص. فإذا كان الإنسان قد خلق فى ابتداء أمره ناقصًا فإن لديه استعدادًا لتحصيل الكمال؛ وإذا كان الإنسان فى حاجة إلى ما يحفظ به جسده من المهلكات ويحصل به غذاء الجسد، فإنه فى الوقت نفسه فى حاجة إلى ما يحفظ به قلبه من أسباب الهلاك، وهو غذاء القلب الذى يتمثل فى معرفة الله تعالى ومحبته. وتعهد الجسد وترك تعهد القلب يحرم الإنسان من سعادته.

ويبين الغزالى أن احتياجات الجسد من الطعام والملبس والمسكن إذا زادت عن حدها صارت سببًا للهلاك بخلاف معرفة الله ومحبته كلما كثرت كان ذلك أفضل.

ويتحدث بعد ذلك عن الشهوة والعقل والحاجة إلى الصناعات وإلى الاجتماع مبينًا كثرة اشتغال الإنسان بأمور الدنيا. ويبين أيضًا أن احتياجات الجسد من طعام ومأكل ومسكن إذا كانت لأجل الجسد وحفظه فإن الجسد من ناحية أخرى هو للقلب، والقلب هو لتحصيل معرفة الله. ويختم الغزالى كلامه عن الدنيا بالتحذير منها، ويذكر فى هذا الصدد حديثًا عن النبى ﷺ يقول فيه: «**احذروا من الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت**».

وبعد ذلك يتحدث عن الأصل الرابع وهو معرفة الآخرة، ويبين أن معرفة الآخرة متوقفة على معرفة الموت، ومعرفة الموت، متوقفة على معرفة الحياة. وإذا كان الإنسان مركبًا من جسد وقلب فإن الجسد مركب من قلب وروح. وهنا يفصل القول فى الحديث عن الروح، ويقسمها إلى روح حيوانية أو جسمانية وروح روحانية. وإذا كانت الأولى يبطل حسها وحركتها بموت الجسد، فإن الثانية لا يعتريها تغير. ويبنى الغزالى كلامه عن الروح الروحانية على الآية الكريمة: ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى**﴾ ومن الروح يقتبس الأنبياء وكبار الأولياء. ولا حظ لقلوب الكفار منها. أما قلوب المؤمنين فتنال من بركتها بواسطة الأنبياء والأولياء. وبالرغم من بيان الغزالى لما تمنحه هذه الروح الروحانية ولمن تمنح، إلا أننا لا نستطيع أن نخرج من كلامه عنها بفهم محدد لها.

ثم يتحدث الغزالى عن الجنة والنار، ويبين أن لكل من الجسد والقلب جنته وناره؛ ويقسم النار إلى ثلاثة أقسام: أولها نار فراق الشهوات، وثانيها نار

الحياء والفضيحة والخجل، وثالثها نار الحرمان من رؤية الله تعالى. أما جنة القلوب فتتمثل فى رؤية الله تعالى فى دار القرار ومشاهدة كمال الذات ومعاينة كمال الصفات إلخ. ويضرب الغزالى بعض الأمثال فى معرض حديثه عن هذه الموضوعات لتوضيح المعنى المراد.

هذا عرض مجمل لما اشتملت عليه الرسالة. وقد قسمنا موضوعاتها إلى نقاط جزئية وأضفنا لها عناوين زيادة فى الإيضاح وتسهيلا على القارئ فى الإلمام بما تضمنته الرسالة من جزئيات.

نسبة الرسالة للغزالى:

أما من ناحية صحة نسبة الرسالة للغزالى فإننا لا نشك فى صحة هذه النسبة. فموضوع الرسالة من الموضوعات التى تناولها الغزالى فى العديد من كتبه، وليس فى الرسالة ما يتناقض مع آراء الغزالى المعروفة. والرسالة لم تنسب لمؤلف آخر. وفيما يلى نشير إلى نماذج من الموضوعات التى تشترك الرسالة فى تناولها مع مؤلفات أخرى للغزالى، حتى يتضح للقارئ مدى التطابق بين هذه الموضوعات.

يتحدث الغزالى فى كتابه (إحياء علوم الدين) عن المعرفة فيقول: «وأعنى بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور: يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة. فيعرف نفسه بالعبودية والذل، وبكونه غريبًا فى هذا العالم، وأجنبيا من هذه الشهوات البهيمية. وإنما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى، والنظر إلى وجهه فقط. فلا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه

فليستعن على هذا بما ذكرناه فى كتاب المحبة وفى كتاب شرح عجائب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر .. وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما ذكرنا فى كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر الموت[1] ليتبين له أن لا نسبة للدنيا إلى الآخرة. فإذا عرف نفسه وربه، وعرف الدنيا والآخرة نار من قلبه بمعرفة الله حب الله، وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها، وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها، ويصير أهم أموره ما يوصله إلى الله تعالى وينفعه فى الآخرة»[2].

ويقول الغزالى أيضًا فى كتابه (الأربعين فى أصول الدين): «فصل: من عرف نفسه وعرف ربه وعرف زينة الدنيا وعرف الآخرة شاهد بنور البصيرة وجه عداوة الدنيا للآخرة، إذ ينكشف له قطعا أن لا سعادة فى الآخرة إلا لمن قدم على الله سبحانه عارفا محبّا له»[3].

وهكذا نجد أن موضوعات المعرفة الأربعة المذكورة من الموضوعات الهامة التى كانت تشغل بال الغزالى، والتى كان يهتم بها اهتمامًا بالغًا، جعله يعرضها ويتحدث عنها فى أكثر من كتاب ورسالة، ومن بينها الرسالة التى نحن بصددها هنا. ولكن اتفاق موضوعات الرسالة مع ما ذكره الغزالى فى الإحياء وغيره لا يقتصر على رءوس الموضوعات، بل يتجاوز ذلك إلى الجزئيات والتفاصيل.

(١) الكتب التى يحيل عليها الغزالى فى هذا النص هى من أقسام كتاب الإحياء وليست كتبًا مستقلة.

(٢) الإحياء ٣/٣٩٩.

(٣) الأربعين فى أصول الدين للغزالى ص ١٤٤ (مكتبة الجندى ١٣٨٣هـ).

فنحن نجد الغزالى يتحدث فى كتابه الإحياء أيضًا عن الأشغال الدنيوية، ويرجع سبب كثرة هذه الأشغال إلى أن الإنسان مضطر إلى ثلاثة أمور هى: القوت والمسكن والملبس، وأن الإنسان لذلك محتاج إلى خمس صناعات هى الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء، ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده، بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه. ثم ذكر الغزالى بعد ذلك حاجته لأمور أخرى سياسية لابد منها[1].

كما يتحدث الغزالى فى الإحياء أيضًا عن الروح الجسمانى وكذلك عن الروح الربانى الذى تعجز العقول والأفهام عن درك حقيقته[2].

وبعد ذلك يتحدث عن أعضاء الجسم باعتبار أنها مسخرة للقلب[3]؛ ويبين أن عظم شرف القلب يأتى من جهة العلم والإرادة[4]. ويفصل القول فى الأوصاف الأربعة التى اجتمعت على الإنسان وهى الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية[5]..

وفى موضع آخر يتحدث عن الملائكة الموكلين بأعضاء الإنسان[6]. وكل هذه التفاصيل قد اشتملت عليها الرسالة باختصار يتناسب مع حجمها، مع

(١) الإحياء ٣/٢٢٠ وما بعدها.

(٢) الإحياء ٣/٣ وما بعدها.

(٣) الإحياء ٣/٥.

(٤) الإحياء ٣/٧.

(٥) الإحياء ٣/١٠.

(٦) الإحياء ٤/١١٧ وما بعدها.

الاختلاف بطبيعة الحال فى الصياغة وطريقة العرض واختلاف طفيف فى بعض الجزئيات.

وبناء على ذلك كله فإننا لا نجد أى سبب يدعو إلى الشك فى صحة نسبة هذه الرسالة للغزالى، فهو صاحبها بلا جدال، اللهم إلا إذا تشككنا فى صحة نسبة الإحياء له، وهذا أمر غير وارد.

وإليك نص الرسالة:

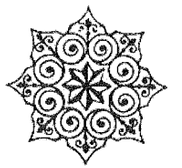

رسـالة فى معرفة النفس

بسم الله الرحمن الرحيم (وبه العون)[١].

قال الشيخ الإمام حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالى قدس الله روحه (...)[٢]، ورزقنا الله فتوحه آمين[٣]:

مبنى الإسلام:

اعلم أن مبنى الإسلام على أمور أربعة: معرفة النفس، ومعرفة الله تعالى، ومعرفة الدنيا، ومعرفة الآخرة.

الأصل الأول والثانى: معرفة النفس ومعرفة الله:

أما الأول فيجب على كل إنسان أن يعرف نفسه؛ لأنه متى لم يعرف نفسه لا سبيل ـ له ـ[٤] إلى أن يعرف الله تعالى، لأن معرفة النفس هى مفتاح معرفة الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»[٥] وفى كُتب الأنبياء المتقدمين: «يا إنسان: اعرف نفسك تعرف ربك».

---

(١) ساقطة من ب.

(٢) كلمة غير واضحة فى أ.

(٣) فى ب: «قدس الله روحه وزاد فى غرف العدن فتوحه».

(٤) ساقطة من ب.

(٥) يذكر الغزالى هذا الحديث أيضًا فى معارج القدس ص ٣ (المكتبة التجارية الكُبرى بمصر بدون تاريخ)، وفى المضنون به على غير أهله ص ٣١٢. وفى المضنون الصغير ٣٥٨ (ضمن مجموعة: القصور العوالى من رسائل الإمام الغزالى ـ مكتبة الجندى ـ بدون تاريخ). قارن أيضًا مشكاة الأنوار للغزالى ص ٧١ =

وفى الإنجيل: «ولا تكونوا كالذين نسوا (أنفسهم فنسوا)[1] الله (سبحانه. وقال تعالى فيما نزل على رسوله الأجل)[2]: ﴿**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه**﴾[3]، أى جهلها. وقال الله تعالى: ﴿**سنُريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾[4].

مِمَّ يتكون الإنسان ؟

اعلم أن الإنسان مخلوق من شيئين: الجسد والقلب :

(أ) أما **الجسد** : فخلقه[5] الله تعالى مركبًا من ـ جلد[6] ـ ولحم وعصب وعرق ودم وعظم ومخ. قال الله تعالى : ﴿**وقد خلقكم أطوارًا**﴾[7]. وفى كل عضو من أعضائه معانٍ عجيبة، وحِكَم غريبة، وفى كل إنسان ـ بضعة[8] ـ آلاف عصب ـ وعظم[9] ـ وعرق، وغيرها من أجزائه: كل منها على شكل وهيئة تخالف سائرها، وما خلق كل منها إلا لغرض مقصود له[10]. فالعين

= (تحقيق د. أبو العلا عفيفى ١٩٦٤)، وكذلك إحياء علوم الدين ٣ / ٢ حيث يقول: «فشرف الإنسان ... باستعداده لمعرفة الله سبحانه ... وإنما استعد للمعرفة بقلبه ... وهو الذى إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه» ولم نعثُر على الحديث المذكور فى كتب السنة.

(١) كلمتان ساقطتان من أ.
(٢) كلمات ساقطة من أ.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٠.
(٤) سورة فصلت: الآية ٥٣.
(٥) فى ب : فخلق.
(٦) فى ب، سقطت عند النسخ وتداركها الناسخ فى الهامش.
(٧) سورة نوح: الآية ١٤.
(٨) ساقطة من ب. وتداركها الناسخ فى الهامش.
(٩) ساقطة من ب.
(١٠) فى ب : (به).

مركبة[1] من عشر طبقات مختلفة لو اختل كل منها[2] لاختلت[3] الرؤية، وصنفوا فى فوائد هذه الطبقات مجلدات.

والكبد خُلِقَ لأجل أن تصل إليه الأطعمة المختلفة لألوان من المعدة فيصيرها على لون واحد، وهو لون الدم ليصلح غذاء للأعضاء[4] السبعة. فإذا ضخ الدم فى الكبد[5] حصل فى أسفله دردى وهو السوداء، وفى أعلاه ماء أصفر وهو الصفراء، والدم فى نفسه رقيق لا قوام له؛ فخُلِقَ الطحال ليجذب السوداء منه إلى نفسه، وخُلِقَتْ المرارة لتجذب تلك الصفراء منه، وخُلِقَتْ الكليتان ليجذبا الماء من الدم ليحصل له قوام، ثم يصل الدم إلى العروق، ثم إلى الأعضاء. فلو أصابت[6] المرارة آفة لبقيت الصفراء فى الدم فيتولد منه اليرقان والحُمى وسائر العلل الصفراوية، ولو أصابت[7] الطحال آفة لبقيت السوداء فى الدم فيتولد[8] منها[9] الصرع والعمى وسائر العلل السوداوية، وإذا أصابت[10] الكلية آفة لبقى الماء فى الدم، فيتولد منه الاستسقاء، وكذا[11] كل جزء من الأجزاء الظاهرة والباطنة خُلِقَ لفائدة مخصوصة لولا[12] ذلك الجزء لاختل أمر الجسد. وهذا المختصر لا يحتمل[13] تعداد تلك الفوائد، بل فى جسد آدمى واحد

(١) فى أ : مركب.
(٢) فى ب : لو اختل واحدة منها.
(٣) فى ب : لا ختل.
(٤) فى ب: غذاء الأعضاء.
(٥) فى أ : بالكبد.
(٦ ، ٧) فى أ : أصاب.
(٨) فى ب : ويتولد.
(٩) فى أ : منه.
(١٠) فى أ : أصاب.
(١١) فى ب : وكذلك.
(١٢) فى ب : ولولا.
(١٣) فى ب : لا يتحمل.

مع صغر بنيته[1] أمثلة ما فى السماوات والأرض. فالعظام أمثال الجبال، والعروق أمثال الأنهار، والشعور أمثال النبات. والدماغ مثل[2] السماء، والحواس أمثال الكواكب؛ بل فيه أمثلة كل صانع فى الدنيا. فالقوة التى تهضم الطعام فى المعدة كالطباخ، والتى ترسل الطعام الصافى إلى الكبد والتفل إلى الأمعاء ـ الكثيفة ـ[3] كالعصار، والتى تصير الطعام على لون الدم كالصباغ، والتى تحول الدم إلى لون اللبن فى الثدى وتجعله[4] نطفة فى الأنثيين كالفصار، والتى تجذب من الكبد غذاء كل جزء من أجزاء الأعضاء إليه وترسل الماء إلى المثانة كالسقا، والتى تسقط التفل إلى الخارج كالكناس، والتى ترفع المضار والعلل كالرئيس[5] العادل.

والله تعالى أعطى كل إنسان أشياء هو محتاج إليها ضرورة حيوية[6] كالفؤاد والكبد والدماغ وأصول الحيوان، وأعطاه أشياء (هو محتاج إليها ولكنها ليست من ضرورات حياته كاليد والرِّجْل والعين واللسان، وأعطاه أشياء)[7] كمالا[8] لزينته كسواد الشعر وحمرة الشفة واعوجاج الحواجب وأمثالها.

فيجب (على)[9] كل مسلم أن يتأمل فيما بينته من عجائب صنع الله تعالى فى جسده، فيعتقد بأن الله تعالى قادر ليس فى قدرته عجز، وأنه تعالى عالم

(١) فى ب : جئنه.
(٢) فى ب : أمثال.
(٣) ساقطة من أ.
(٤) فى أ : ويجعل.
(٥) فى ب : كالرائس.
(٦) فى ب : وهو محتاج إليها من ضرورات حياته.
(٧) ما بين القوسين ساقط من أ، ولكن الناسخ تدارك ذلك وأثبته فى الهامش.
(٨) فى ب : إكمالا.
(٩) سقطت من أ.

ليس فى علمه قصور، وأنه تعالى حكيم ليس فى حكمته وهن ولا نقص، إلى غير ذلك من صفات الكمال. فإن من تأمل فى غرائب شعر موزون اللفظ والمعنى، أو مصنف عالم حاذق فى العلوم، أو مصنوع صانع ماهر، وأدرك عجائبها ودقائقها، يعظم فى (قلبه)[1] قدر ذلك ـ العالم[2] ـ والشاعر والمصنف والصانع، فكذلك[3] المتأمل فى عجائب صنع الله تعالى فى جسده وقلبه لا بد (له)[4] أن يعتقد أن قدرة الله تعالى (عز وجل)[5] وعلمه وحكمته ولُطفه ورحمته كاملة لا نهاية لها، و(أن)[6] من قدر على إيجاد ـ مثل[7] ـ هذا من ماء مهين، يقدر لا محالة على إحيائه بعد الموت، وأن يشتغل بعد الشكر له (تعالى)[8] بأن لا يعصيه بقوى هذه الأعضاء كما قال الجنيد (رحمه الله)[9]: الشكر ألا يعصى الله (تعالى)[10] بنعمه، وأن يشتغل بأداء ما فُرض عليه؛ لأن ذلك من الشكر. قال الله تعالى: ﴿**اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادى الشكور**﴾[11]، وأن يعتبر أنه لو أرسل ملك من ملوك الدنيا غلامه

(١) ساقطة من أ.
(٢) سقطت من ب.
(٣) فى ب : وكذلك.
(٤) سقطت من أ.
(٥) سقطت من أ.
(٦) سقطت من أ.
(٧) سقطت من ب.
(٨) سقطت من أ.
(٩) سقطت من أ. والجنيد هو ـ كما يقول القشيرى ص ٢٠ ـ أبو القاسم الجنيد بن محمد سيد هذه الطائفة (أى طائفة الصوفية) وإمامهم، ولد ونشأ بالعراق، ومات سنة سبع وتسعين ومائتين.
(١٠) سقطت من أ.
(١١) سورة سبأ: الآية ١٣، وفى ب بدون ﴿وقليل من عبادى الشكور﴾.

ـ إليه[١] ـ ليخدمه ساعة واحدة كيف كان يشكره جميع[٢] عمره. والله تعالى ـ قد[٣] ـ أرسل (إلى)[٤] باطنه وظاهره بضعة[٥] آلاف صانع ليخدموه جميع عمره وهو لا يشكره. هذا كله فى معرفة الجسد.

(ب) : **أما القلب** : فهو نفس الإنسان وحقيقته، وهو العارف بالله (تعالى)[٦]، والولى لله إذا تخلص من الأوصاف الخسيسة وتحلى بالصفات المحمودة ـ وهو العدو لله (تعالى)[٧] إذا تلوث بكدورات الكُفر والمعاصى، واتصف بالأوصاف الخبيثة من المكر والخداع[٨] والنفاق. والجسد تبع له فى ذلك كله. وهو شىء روحانى لا يدرك بالحواس، وهو مخلوق محدث.

مزية القلب على الجسد :

وله مزية على الجسد من وجهين: أحدهما: من جهة العلم، والثانى: من جهة القدرة[٩].

(١) سقطت من ب.
(٢) فى أ : جمع.
(٣) سقطت من ب .
(٤) سقطت من أ.
(٥) فى ب : ستة.
(٦) زائدة فى ب.
(٧) زائدة فى ب.
(٨) فى أ : والخدع.
(٩) يقول الغزالى فى الإحياء (٧/٣): إن ما يخص به قلب الإنسان ولأجله عظم شرفه واستحق القرب من الله تعالى يرجع إلى علم وإرادة.

١ ـ **أما الأول** : فإن الله تعالى أعطاه قدرة يدرك بها جميع العلوم من ـ علوم[١] ـ الشرائع والدين والهندسة والحساب والطب والنجوم، وأنواع الصنائع والحرف فيسع هذه[٢] العلوم كلها، بل جميع العالم فيه بمنزلة ذرة فى تيه[٣] بنى إسرائيل، ويسير فى فكرته[٤] من العلىَ إلى الثرى ومن المشرق إلى المغرب فى لحظة واحدة، ويعرف[٥] مساحة السماوات والأرض ومقدار كل نجم[٦]، ويخرج الحيتان بالحيل من قَعْرِ البحر، ويهبط الطيور من الهواء، ويُسخر نفس الحيوانات ذوات القوى كالفيل والجمل والفرس.

٢ ـ **وأما**[٧] **مزيته من جهة القدرة**: فهو أن القلب من جنس جوهر الملائكة، فكما أن عالم الأجسام مسخر للملائكة بإذن الله تعالى: يمطرون المطر، ويرسلون الرياح، ويصورون أصناف الحيوانات[٨] فى الأرحام، والنبات فى بطون الأرض وظهورها، ووكل ـ كل[٩] ـ صنف منهم بنوع من هذه الأمور، فكذلك القلب له قدرة يُسخر بها بعض الأجسام لنفسه.

الجسد مُسَخَّر للقلب :

والعالم الخاص لكل إنسان جسده، وهو مسخر لقلبه تسخير المطر للموكل به، وتسخير الموت لملك الموت، وتسخير إرسال الرياح ـ للملك[١٠] الموكل بها. فإذا أمر القلب الأيدى

(١) سقطت من ب.
(٢) فى ب : ذلك.
(٣) فى أ : قبة.
(٤) فى ب : ويسرى فكرته.
(٥) فى ب : ويعلم.
(٦) فى ب : جسم.
(٧) فى ب : أما.
(٨) فى ب : الحيوان.
(٩) سقطت من أ.
(١٠) زائدة فى ب.

والأرجل وأصابعها بالتحرك تحركت، وإن أمرها بالسكون سكنت؛ وإذا ظهر فى القلب غضب انتفخت العروق فى الأعضاء كلها؛ وإذا ظهر فيه شهوة الجماع يظهر ريح من القلب إلى جانب آلة الجماع؛ وإذا أراد أكل الطعام تقوم الغدة[١] التى تحت اللسان فترسل الماء بالتدريج حتى يبتل[٢] الطعام، ويقدر الآكل على ابتلاعه، وغير ذلك مما ـ لا[٣] ـ يخفى على العاقل والغبى[٤].

الأخـــلاق :

واعلم أن كل عمل يعمله الإنسان من خير أو شر فإنه ـ وإن قل ـ يؤثر تأثيرات فى قلبه[٥]، ويعرض عليه ذلك التأثير فى صحيفته يوم القيامة، وتسمى تلك التأثيرات أخلاقًا.

وقلب المؤمن بمنزلة المرآة المصقولة، والأخلاق الذميمة من الحسد والشماتة والكِبْرِ والإيذاء والحيلة والمكر والخيانة والرياء والعُجْبُ والنفاق والغل وما ضاهاها بمنزلة الدخان ـ والظلمة[٦] ـ التى تصيب المرآة فتسودها وتجعلها محجوبة من الله تعالى فى الآخرة ـ و[٧] ـ العياذ بالله.

(١) فى ب : القوة.
(٢) فى ب : يبل.
(٣) سقطت من ب.
(٤) فى ب : على ذكى وغبى.
(٥) فى ب : يؤثر تأثيرًا ما فى قلبه.
(٦) سقطت من ب.
(٧) سقطت من ب.

والأخلاق الحسنة من القناعة والحياء والصبر والكرم والمعرفة والعلم والعقل والحكمة والصلاح وما شابهها بمنزلة أنوار تصيب المرآة فتزيل[١] عنها ظلمات المعاصى وسوء الأخلاق القبيحة. وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ بقوله: «**أتبع السيئة الحسنة تمحُها**»[٢].

والقلوب تحشر يوم القيامة إما مصقولة منورة، وإما مسودة ملوثة، ولا ينجو إلا مَنْ أتى الله بقلب سليم.

والقلوب المصقولة المنورة بعضها أنور من بعض وأصقل. فربما قوى قلب من قلوب المؤمنين وبلغت قوة نوره إلى حد لو وقعت هيبته على أسد ينقاد له؛ وإذا تعلقت همته بمريض يبرؤ من ساعته؛ وإذا وقع خاطره على رجل بعيد منه أراد أن يقرب إليه يظهر فى باطن ذلك ـ الرجل[٣] ـ حركة[٤] وعزم ـ فيقوم[٥] ويجىء إليه؛ وإذا هم أن تمطر السماء تمطر، إلى غير ذلك من كرامات الأولياء.

وكما أن القلوب المتنورة متفاوتة فكذلك القلوب المسودة متفاوتة فى الدرجة بعضها أسود وأخبث من بعض.

وربما قوى خبث قلب من قلوب المنافقين[٦] والكافرين ونظر إلى حيوان حسن مثلا نظر الحسد يهلك ذلك الحيوان من ساعته، وذلك هو إصابة العين، وهى

(١) فى ب : تزيل.
(٢) رواه أحمد والترمذى.
(٣) زائدة فى ب.
(٤) فى أ : تحرك.
(٥) سقطت من ب.
(٦) فى ب : «من قلوب المؤمنين» وهو خطأ واضح.

متحققة[1] كائنة. قال (رسول الله)[2] ﷺ : «**العين حق**»، وقال (رسول الله)[3] ﷺ : «**إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القِدْر**»[4]. وبعض السحر من هذا القبيل، أى من قبيل خبث القلب. ولو بينت وجهه لكان ذلك منى تعليمًا للسحر المنهى عن بيانه[5].

أنواع الأخـــلاق :

والأخـــلاق المحمـــودة والمذمومـــة كثيـــرة وهى مـع كثرتها منحصـرة فى ـ أنواع[6] ـ أربعة:

(**النوع الأول**) أخلاق البهائم: كثرة الطعام وكثرة الجماع[7].

و (**النوع الثانى**) أخلاق السباع؛ كالإيذاء والإضرار بالمسلمين.

و (**النوع الثالث**) أخلاق الشياطين؛ كالفتنة والمكر والخداع.

و (**النوع الرابع**)[8] أخـلاق الملائكة كـالإيمان ـ والعلم[9] ـ والعـقل والحلم والصلاح والتقوى.

---

(١) فى ب : محققة.
(٢) زائدة فى ب .
(٣) زائدة فى ب.
(٤) حديث: «**العين حق**» رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وأحمد. أما حديث: «**إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر**» فقد رواه مسلم والترمذى وابن ماجه وأحمد.
(٥) فى ب : «لكان ذلك تعليمًا للسحر منى».
(٦) سقطت من ب.
(٧) فى ب : «كثرة الجماع والطعام».
(٨) ما بين الأقواس وهى كلمات: (النوع الأول، النوع الثانى، النوع الثالث، النوع الرابع) زيادة من المحقق.
(٩) سقطت من ب.

والإنسان مأمور بأن يؤدب[1] خنزير الحرص والشره، وذئب الإيذاء والقتل، وشيطان المكر والخداع، ويجعله[2] تحت تصرف العقل والحلم حتى يسعد سعادة دائمة، ويحصل ـ له[3] ـ الأخلاق المحمودة، فلو لم يؤدبها[4] بل انقاد لها، يحصل له الأخلاق المذمومة التى هى أصل الشقاوة فى الآخرة.

فلو كوشف[5] هذا الرجل عن حاله فى المنام أو فى اليقظة لرأى نفسه قائمًا بين يدى خنزير أو ذئب أو شيطان، منقادًا لها مطيعًا إياها، بل ساجدًا متضرعًا بين يديها. وهذا لأن الخنزير والذئب والشيطان ليست بمذمومة من حيث أشكالها وصورها[6]، بل بالصفات التى فيها من معنى الإيذاء والشره[7] والمكر.

جاء فى الخبر: إن من الملائكة من هو على صورة البهائم، ومنهم من هو على صورة وحشى، ومنهم من هو على صورة طائر. والملائكة كلهم معصومون عن الأخلاق الذميمة من الكُفر والنفاق والإيذاء والشر والمكر والفتنة وغيرها[8]، متصفون بالأخلاق الحميدة من الإيمان والعلم والإخلاص ونظائرها.

---

(١) فى أ ، ب : «يأدب».
(٢) فى ب : ويجعلها.
(٣) زائدة فى ب.
(٤) فى أ ، ب : «يأدبها».
(٥) فى ب : كشف.
(٦) فى ب : وصدورها.
(٧) فى ب : والشر.
(٨) فى ب : وغيرهما.

فلو كانت البهيمة والسبع والشيطان مذمومة بصورها وأشكالها لكان هؤلاء الملائكة مذمومين عند الله تعالى، وليس كذلك. (فمن كان الغالب عليه فى الدنيا الإيذاء والإضرار بالمؤمنين، فإنه يحشر يوم القيامة على صورة ذئب أو كلب أو حية)[١]؛ ومن كان[٢] الغالب عليه فى الدنيا الشره[٣] والحرص على الأفعال الخسيسة فإنه يحشر على صورة خنزير؛ ومن كان الغالب عليه فى الدنيا المكر والخداع فإنه يُحشر على صورة الشيطان[٤]؛ ومن كان الغالب عليه فى الدنيا العلم والمعرفة والعقل والصلاح فإنه يُحشر على صورة ملك مقرب.

الإنسان مطالب بأخلاق الملائكة :

فإن قلت : لما اجتمع فى الإنسان صفات السباع والبهائم والشيطان والملائكة فبماذا عرفت أن أصله الملائكة، وأن غيرها عارضة، وبماذا عرفت أنه مأمور بتحصيل أخلاق الملائكة دون سائر الأخلاق ؟

قلت: ـ إن[٥] ـ الإنسان أشرف وأفضل من سائر الحيوانات والشياطين لا محالة، قال الله تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾[٦].

فلو كان فضله وكرمه بأكله وشربه لكان الجمل والفيل أولى بالفضل والكرم منه؛ لأنهما أكثر أكلاً وأوسع بطنًا منه؛ ولو كان بكثرة جماعه لكان العصفور

(١) ما بين القوسين ساقط من أ.
(٢) فى أ : فلو كان.
(٣) فى ب : الشر.
(٤) فى ب : شيطان.
(٥) زائدة فى ب.
(٦) سورة الإسراء : الآية ٧٠.

أفضل وأكرم منه؛ لأن ـ أخس[١] ـ العصافير أكثر جماعًا منه، (ولو كان بالإيذاء والإضرار لكان الأسد أفضل منه)[٢]، ولو كان بالمكر ـ والحيل[٣] ـ والخداع لكان الشيطان أفضل منه، وليس كذلك.

ولكن الله تعالى أعطى له كسائر الحيوانات وزيادة[٤] هى العلم والمعرفة والعقل والحياء والحلم والإخلاص ونظائرها من الصفات المحمودة، فعلم أن فضله وشرفه وكرمه بها لا بما يشاركه فيه[٥] سائر الحيوانات. فإن الشيئين إذا استويا فى خاصة[٦] واختص أحدهما بمزية خاصة أخرى يعرف أنه مخلوق للخاصة[٧] التى اختص بها، كالفرس مثلا يساوى الحمار فى قوة الحمل واختص بالعدو فى الجهاد، فعلم أنه مخلوق للعدو فى الجهاد، وإليه أشار رسول الله ﷺ ـ بقوله[٨] ـ : «**الخير معقود فى نواصى**[٩] **الخيل**». فإذا عجز الفرس عن العدْو ولم يعجز عن الحمل، فقد خرج عن الفرسية ونزل إلى رتبة الحمار[١٠]. وذلك هلاكه ونقصانه. فكذلك سائر الإنسان

(١) سقطت من ب.
(٢) ما بين القوسين ساقط من ب.
(٣) سقطت من ب.
(٤) فى ب : «ولكن الله تعالى أعطى له ما لم يعط لسائر الحيوانات، والزيادة ... إلخ».
(٥) فى أ : «فعلم أن فضله وكرمه وشرفه لا بما يشارك فيه.... إلخ».
(٦) فى ب : الخاصة.
(٧) فى أ : بالخاصة.
(٨) زائدة فى ب.
(٩) فى ب: بنواصى. والحديث المذكور رواه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد.
(١٠) يذكر الغزالى مثال الفرس والحمار الذى أورده هنا فى كتاب الإحياء أيضًا ٣ / ٩.

شارك[1] البهائم فى أمور، واختص بالعلم والمعرفة والعقل والحياء[2] ونظائرها التى لا نصيب فيها لسائر الحيوانات. فعلم أنه مكرم مشرف لخصوصية[3] بها، لا بالتى شاركت فيها البهائم والسباع والشياطين. فمن حرم الأخلاق المحمودة رأسًا، واتصف بالمكر والخداع، فقد خرج عن[4] درجة الإنسانية، ونزل إلى منازل الشياطين. وكذلك سائر الصفات. فقد حصل بمجموع ما ذكرنا معرفة النفس ومعرفة الله تعالى[5].

الأصل الثالث : معرفة الدنيا :

وأما الأصل الثالث وهو معرفة الدنيا، فاعلم أن معرفة الدنيا والآخرة عبارتان (عن حالتيك)[6] فيما قبل الموت ـ وهو أدنى وأقرب يسمونه الدنيا وهى تأنيث الأدنى كالعليا تأنيث الأعلى ـ وما بعد الموت يسمونه الآخرة.

فالدنيا : منزل من منازل السائرين إلى الله تعالى، وسوق قائم فى برية على طريق السالكين سبيل[7] الدين ليشتروا[8] منها زادهم للسير[9] إلى الله تعالى.

(١) فى ب : يشارك.
(٢) فى ب : (والجهاد) بدلا من الحياء.
(٣) فى ب : لخصوصه.
(٤) فى ب : من.
(٥) لم يفرد الغزالى موضوع معرفة الله فى هذه الرسالة ببحث مستقل بالرغم من أنه أحد الأمور الأربعة التى أشار إليها، وتعبيره فى أول الرسالة بقوله (أما الأول) للإشارة إلى موضوع معرفة النفس يدل على أنه سيذكر الأمر الثانى مستقبلا، ولكنه لم يفعل واكتفى بمعالجة موضوع معرفة الله ضمن تناوله لمعرفة النفس باعتبار أن من عرف نفسه فقد عرف ربه، وهذا ما جعله فى نهاية معالجته لهذا الموضوع يقول: «فقد حصل بمجموع ما ذكرنا معرفة النفس ومعرفة الله».
(٦) ساقط من أ، وبدلا من ذلك كُررت كلمة (عبارتان).
(٧) فى ب : لسبيل.
(٨) فى ب : ليشترون.
(٩) فى ب : للمسير.

الإنسان بين الكمال والنقص :

والإنسان خُلق فى ابتداء أمره ناقصًا، ولكن له استعداد يقدر به على تحصيل الكمال، ويليق بجوار الحضرة[1] الإلهية وبالنظر[2] إلى الله تعالى. وهذا هو فردوسه ومنتهى سعادته. ولذلك خلق وبه أمر، ولا يمكن له رؤية الله تعالى ما لم تنفتح عيناه ولا تنفتح عيناه ما لم يحصل له المعرفة بالله ـ تعالى[3] ـ ولا يحصل له المعرفة بالله ـ تعالى[4] ـ ما لم يعرف عجائب صنع الله تعالى ـ ولا يحصل له معرفة ـ عجائب[5] ـ صُنع الله تعالى إلا بالحواس، ولا يمكن ـ أن توجد[6] ـ الحواس إلا فى هذا القالب المركب من الماء والتراب. فمست الحاجة إلى عالم الماء والتراب ليتزود منها، فيحتاج إلى شيئين :

أحدهما : ما يحفظ به قلبه من أسباب الهلاك، ويحصل به غذاء القلب.

والآخر : ما يحفظ ـ به[7] ـ جسده من المهلكات، ويحصل به غذاء الجسد.

(١) فى أ : حضرت.
(٢) فى أ : والنظر.
(٣ ـ ٤) زائدة فى ب.
(٥ ـ ٦) زيادة من الحقق.
(٧) سقطت من أ.

فغذاء القلب معرفة الله تعالى ومحبته. وسبب هلاكه أن يستغرق فى محبة شىء سوى الله ـ تعالى[1].

وتعهد الجسد إنما هو لأجل القلب، وهو للقلب بمنزلة الجمل للحاج فى طريق الحج ليوصله إلى الكعبة، ويخفف عنه مشاق السفر، فيجب على الحاج أن يتعهد الجمل بقدر الحاجة. فلو اشتغل به اشتغالاً زائدًا على قدر الحاجة حتى ارتحلت[2] القافلة أيامًا وبقى هو مشتغلا بتعهد جمله، كان هو متعهدًا للجمل لا حاجًا. فكذلك الإنسان إذا اشتغل بتعهد جسده، وترك تعهد قلبه حرم عن سعادته.

احتياجات الجسد :

والذى يحتاج إليه الجسد فى الدنيا ثلاثة :

الطعام للأكل، واللباس للستر، والمسكن ليدفع عن جسده ضرر الحر والبرد، كل ذلك بقدر[3] الحاجة، حتى لو أكل زائدًا عن حد جسده، يصير سببًا للهلاك[4] ويسأل عنه.

ولو لبس أثوابًا كثيرة يثقل عليه حملها، ويتضرر بها. ولو زاد المسكن على قدر الحاجة يتضرر بتعهده، بخلاف غذاء القلب الذى هو معرفة الله تعالى ومحبته، فكلما[5] كثُر كان أفضل.

---

(١) زيادة فى ب.

(٢) فى أ ، ب : ارتحل.

(٣) فى ب : بمقدار.

(٤) فى ب : (سبب هلاكه) ثم صححها الناسخ فى الهامش إلى (سببًا لهلاكه).

(٥) فى أ : كلما.

الشهوة والعقل :

والله تعالى قد سلط الشهوة بلطفه على الإنسان ليشتهى ما يحتاج إليه من الطعام والمسكن واللباس، لئلا يهلك جسده الذى هو مركبه. والشهوة خُلقت غير مستقرة على حد، فخلق الله ـ تعالى[1] ـ العقل ليمنعها عن التجاوز عن حدها، ثم أرسل الله تعالى شرائع الإسلام على لسان الرُّسل عليهم الصلاة والسلام[2] ليبينوا الحدود.

ولكن الشهوة وُضِعَتْ فى الجسد قبل العقل لحاجة الصغير إليها، وأمر بالشرائع بعد أن يوضع فيه العقل. فاستقرت الشهوة فى الجسد واستولت عليه قبل العقل والشرع فتمردت عليهما. وهما يعظانه ويذكرانه أن القوت[3] واللباس والمسكن لأى شىء هو ، حتى لا ينسى غذاء القلب الذى هو زاده فى آخره.

الحاجة إلى الصناعات :

فلما احتاج الجسد إلى الطعام واللباس والمسكن، احتاج فى تحصيل[4] الطعام إلى الزراعة، وفى تحصيل اللباس إلى الحياكة، وفى تحصيل المسكن إلى البناء. ثم احتاج إلى فروع هذه الصناعات كالحلاجة والغزل اللذين يتمان حوائج الحائك، وكالخياطة[5] التى تتمم[6] الثوب بعد الحياكة. واحتاج الكل إلى

---

(١) سقطت من ب.

(٢) فى ب بدون (والسلام).

(٣) فى أ : والقوة.

(٤) فى ب : تحصيله.

(٥) فى أ : وكالخياط.

(٦) فى ب : يتم.

الآلات من الخشب والحديد وغيرهما، فظهرت منها[١] صناعات أخر كالحدادة والنجر.

الحاجة إلى الاجتماع :

واحتاج كل واحد من هؤلاء[٢] المحترفين إلى معاونة من أصحابه لعجزه[٣] عن تحصيل جميع الصناعات، فاحتاجوا إلى الاجتماع فى مكان واحد ليخيط الخياط ثوب الحائك بأجر، ويحيك الحائك غزل الغزال[٤] بأجر، ويبنى البناء بناء الخياط والحائك[٥] بأجر. فظهرت بينهم المعاملات التى مفضية إلى النزاع ـ والخصومة[٦] ـ فاحتاج[٧] إلى صناعات ثلاث أُخر[٨] ـ هى[٩] ـ : السياسة والقضاء والفقه الذى يعرف به قانون الوساطة[١٠] بين الناس.

تهالك الإنسان على الدنيا :

فكثرت أشغال[١١] الدنيا، واشتغل[١٢] الإنسان بها بقلبه وجسده: أما القلب فبمحبتها، وأما الجسد فبتحصيلها[١٣]؛ فيتولد فى القلب بمحبتها صفات مهلكات كالحرص والبُخل والحسد والعداوة والغل والتهاجر

(١) فى ب: منهما.

(٢) فى ب : واحتاج كل هؤلاء.

(٣) فى ب : من أصحاب العجزة .

(٤) فى ب : غزل الخياط.

(٥) فى ب : الحائك والخياط.

(٦) زائدة فى ب.

(٧) هكذا فى أ ، ب. أى فاحتاج الناس، أو فاحتاج هؤلاء المحترفون.

(٨) فى أ : أخرى.

(٩) زائدة فى ب.

(١٠) فى ب : الواسطة.

(١١) فى ب : اشتغال.

(١٢) فى ب : فاشتغل.

(١٣) فى أ : فبتحطيها.

وأمثالها، فضَلَّ الناس عن[١] نفوسهم، وحيل بينهم وبين قلوبهم، ونسوا أن أصول الحوائج تكون فى ثلاثة وهى: الطعام[٢] واللباس والمسكن، وأن هذه الثلاثة لأجل الجسد و ـ أن[٣] ـ الجسد لأجل القلب وأن القلب لتحصيل معرفة الله تعالى. فنسوا أنفسهم وصانعهم فصاروا كالحاج الذى نسى الكعبة، ونسى السير إليها، واشتغل جميع عمره بتعهد الجمل. وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ بقوله: «**احذروا من الدنيا فإنها**[٤] **أسحر من هاروت وماروت**»[٥].

معرفة الآخرة :

وأما الأصل الرابع الذى هو معرفة الآخرة[٦]، فاعلم أنه لا يمكن معرفة حقيقة الآخرة إلا بعد معرفة الموت، ولا يمكن معرفة الموت إلا بعد معرفة الحياة.

(١) فى ب : من.

(٢) فى ب وردت العبارة كما يلى: «ولو أن أصول الحوائج تكون أكثر من الثلاثة أى الطعام.».

(٣) زائدة فى ب.

(٤) فى ب : لنسوا.

(٥) فى ب : «احذروا الدنيا فإنه».

(٦) ذكر الغزالى هذا الحديث فى كتاب الأربعين فى أصول الدين ص ١٤٤، وذكره أيضًا فى الإحياء ٣ / ٢٠٠، وقد علق الحافظ العراقى عليه بقوله: رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من طريقه رواية أبى الدرداء الرهاوى مرسلا. وقال البيهقى: إن بعضهم قال: عن أبى الدرداء عن رجل من الصحابة. قال الذهبى: لا يدرى من أبو الدرداء، قال: وهذا مُنكر لا أصل له.

(٧) فى أ : (وأما الأصل الرابع الذى هو معرفة الله) وهو خطأ واضح.

وقد ذكرنا أن الإنسان مركب من جسد وقلب، فاعلم أن الجسد مركب من قالب وروح. فالقالب هو اللحم والعظم والعصب والعروق[1] والدم والمُخ والجلد.

الـــــروح :

١ ـ الروح الحيوانيـــة :

والروح بخار لطيف تصاعد من الدم الذى فى جوف الفؤاد الذى هو اللحم الصنوبرى المودع فى الجانب الأيسر من الصدر. والدم الذى يتصاعد من الروح ـ فى[2] ـ عرق باطن الفؤاد يحصل بتصاعد بخار الأخلاط الأربعة التى هى: الدم والبلغم والصفراء والسوداء، التى تولدت من الطبائع الأربعة[3] التى هى: الحرارة والرطوبة واليبوسة والبرودة، التى تولدت من الهواء[4] والتراب والماء والنار[5].

(١) فى ب : والعرق .

(٢) زائدة فى ب.

(٣) فى ب: الأربع.

(٤) فى ب : الهوى.

(٥) يرجع القول بنظرية الأخلاط الأربعة المشار إليها والمبنية على الطبائع الأربعة المذكورة ـ يرجع إلى الطبيب اليونانى القديم أبقراط (٤٦٠ ـ ٣٧٧ ق م.) ويرجع إلى إنيادوقليس (٤٩٠ ـ ٤٣٠ ق م.) القول بالعناصر الأربعة التى تتكون منها الأشياء وهى: الماء والهواء والنار والتراب.

والمقصود من علم الطب إنما هو اعتدال هذه الطبائع والأخلاط ليستقيم مزاج الروح والجسد، فتنتشر[1] الروح بواسطة العروق الضوارب إلى الدماغ وإلى سائر الأعضاء وهى حمالة القوى والحس والحركة وموصلها[2] إلى أجزاء الجسد كالسراج الذى يدار فى زوايا البيت بتنويره[3] كل موضع يصل إليه السراج، فكذلك الروح توصل القوى والحس والحركة إلى أجزاء الجسد.

ولو وقع فى بعض سدة تمنع[4] وصول الروح إلى عضو من أعضاء الجسد لتعطل ذلك العضو عن القوة والحس والحركة. فمثل هذه الروح كنار السراج، ومثل الفؤاد كالفتيلة[5]، ومثل الغذاء كالدهن. فكما ـ أنه[6] ـ إذا منع عن[7] السراج الدهن ينطفئ، فكذلك إذا منع الغذاء عن الإنسان مدة مديدة يموت. وكما[8] أنه إذا كثُر الدهن وتجاوز عن حد الاعتدال يفسد السراج، فكذلك إذا تجاوز الغذاء حده أيامًا يمرض الإنسان.

وكما أنه إذا ضرب السراج بشىء ينطفئ[9] وإن كان الدهن والفتيلة[10] قائمتين، فكذلك إذا ضُرب الإنسان ضربًا شديدًا يموت. فإذا اعتدل مزاج هذه

(١) فى ب : فينتشر الروح. والروح ـ كما هو معروف ـ يذكر ويؤنث.

(٢) فى ب : وموصلتها.

(٣) فى ب : يتنور.

(٤) فى أ : شدة يمنع. وكلمة سدة هنا بمعنى انسداد.

(٥) فى ب : كالفتيل.

(٦) سقطت من ب.

(٧) فى أ : من.

(٨) فى ب : وكذا.

(٩) فى ب : يطفئ.

(١٠) فى ب : والفتيل.

الروح اعتدالا تامّا تقبل المعانى اللطيفة من القوى والحس والحركة من إلقاء الملائكة الموكلة بها بإذن الله تعالى، فإن لله ـ ملكًا[1] ـ (موكلا)[2] بهذه الروح يلقى إليها[3] قوة البطش، وملكًا ـ آخر[4] ـ يلقى إليها[5] قوة التكلم والصوت، وملكًا آخر يلقى إليها قوة السمع، وملكًا آخر يلقى إليها[6] قوة الرؤية. وكذلك غيرها من القوى.

وإذا قبلت الروح هذه المعانى من الملائكة تحملها الروح فتوصلها إلى أماكنها من الجسد. فإذا[7] بطل مزاجها بغلبة الحرارة والبرودة أو بسبب ـ آخر[8] ـ لا تقدر الروح أن تقبل ـ تلك[9] ـ المعانى من الملائكة فيبطل حسها وحركتها، فتعطل من الجسد تلك المعانى، فيقال إنه مات. فهذا هو معنى موت الحيوان، والذى يزيل عن الروح أسباب الاعتدال وهذه الروح تسمى الروح الحيوانية[10] والروح الجسمانية.

(١) سقطت من ب.

(٢) سقطت من أ.

(٣) فى ب : إليه.

(٤) سقطت من ب.

(٥) فى ب : إليه.

(٦) فى ب : إليه.

(٧) فى ب : وإذا.

(٨) سقطت من ب.

(٩) سقطت من أ.

(١٠) فى ب : «تُسمى روح الحيوانية».

الروح الروحانية:

وأما الروح التى أخبر الله تعالى[1] - عنها بقوله: ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى**﴾[2] فليست بها، فإنها ليست بجسم ولا حالة فى الجسم[3]، ولا سبيل للموت إليها[4]، بل هى لا تتغير - بموت الجسد والروح الجسمانية - عن حالها، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة. وتسمى الروح الروحانية. وتستمد[5] الملائكة الموكلة بإلقاء القوى على الروح الجسمانية، وتستمد[6] أيضًا الملائكة الموكلة بتفاصيل العالم من السماء والأرض والجبال والأنهار والشمس والقمر والنجوم والرياح وغيرها من المعانى اللطيفة والقوى، (تستمد)[7] من الروح الروحانية، ويقتبسونها[8] من بركات الروح الروحانية؛

(١) سقطت من ب.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

(٣) فى ب: ولا حالة فيه.

(٤) فى ب: فيها.

(٥)، (٦) فى أ، ب: تستعمل. ولكن ناسخ (أ) عاد وكتب تحت كلمة تستعمل فى الموضعين كلمة تستمد. وسياق الكلام بعد ذلك يبرر هذا التصحيح.

(٧) كررنا الفعل (تستمد) بالرغم من عدم وجوده فى كل من أ، ب نظرًا لطول الكلام. وقد اعتمدنا فى ذلك على إشارة من ناسخ أ حيث كتب فوق قول المؤلف (من الروح الروحانية) عبارة (متعلق بتستمد).

(٨) هكذا فى النسختين، ولعل الصواب (ويقتبسون)، أو أن يكون فى (يقتبسونها) راجعاً إلى المعانى اللطيفة والقوية.

ثم يلقى كل صنف - منهم[1] - ما اقتبس من المعانى[2] والقوى على ما وكل هو به[3] من أجزاء العالم. ويقتبس الأنبياء وكبار الأولياء من الروح الروحانية والأمور الربانية[4].

ولا حظ لقلوب الكفار من هذه الروح. وأما قلوب عموم المؤمنين فإنها[5] ينالها من بركة الروح الروحانية بواسطة الأنبياء والأولياء بمقدار اليقين فاعرف هذا، فإنه إخبار عن مشاهدة شاهد خبير موقن، ولا تعتبر بما كتب فى بعض الرسائل التى أكثرها إخبار عن ظن والظن لا يغنى من الحق شيئًا.

ثم الروح الجسمانية والقالب خلقا آلة ومركبًا للقلب الذى هو اللائق المستعد للسير إلى الله تعالى؛ ليصعد بآلته ومركبه (إلى)[6] محبة الله تعالى ومعرفته.

(١) سقطت من ب.

(٢) فى ب: العاصى وهو خطأ.

(٣) فى ب: به هو.

(٤) هكذا فى النسختين، ولعل الصواب (والأمر الربانى) وهو إشارة إلى الآية الكريمة قبل ذلك ﴿**قل الروح من أمر ربى**﴾ وبالرغم من أن الغزالى قد بين أن الملائكة والأنبياء والأولياء يقتبسون منها، وأن قلوب المؤمنين تنال من بركتها إلخ. إلا أننا لا نستطيع أن نفهم من كلامه شيئًا محددًا عن هذه الروح الروحانية. وقد اختلف علماء التفسير فى تفسيرهم للمقصود بالروح الواردة فى الآية السابقة. فقيل: إنه يقصد بها الروح الذى فى الحيوان، وقيل: هى خلق عظيم روحانى أعظم من الملك، وقيل: جبريل عليه السلام، وقيل: القرآن. (انظر: تفسير الكشاف للزمخشرى).

(٥) فى ب: فإنه.

(٦) زيادة من المحقق.

فإذا اصطاد ما أمر به ثم مات الجسد سعد القلب سعادة أبدية، وصار وليًا[1] لله تعالى، ونجا[2] من مشقة (حمل)[3] الآلة. وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: «**الموت تحفة المؤمن**»[4]. وإن مات الجسد قبل أن يحصل القلب محبة الله تعالى ومعرفته شقى شقاوة أبدية، وتحسر حسرة لا نهاية لها، وتألم ألما[5] لا غاية له (وهذه الحسرة والتألم أول عذاب القبر للقلب)[6].

للجسد جنة ونار:

ثم للروح[7] الجسمانية والجسد جنة ونار: فجنتهما ما أخبر الله تعالى[8] - على لسان رسوله[9] صلى الله عليه وسلم من البساتين وأنواع الأشجار الدانية قطوفها، والقصور المبنية من ذهب وفضة، والحور العين المقصورات فى الخيام

(١) فى أ: ولى الله.

(٢) فى أ: ونجى.

(٣) سقطت من أ.

(٤) ذكر الغزالى فى الإحياء ٤/٤٣٤ هذا الحديث بلفظ: «تحفة المؤمن الموت» وقد علق عليه الحافظ العراقى بقوله: رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت، والطبرانى والحاكم من حديث عبد الله بن عمر مرسلا بسند حسن.

(٥) فى ب: تألما.

(٦) ما بين القوسين ساقط من ب.

(٧) فى ب: ثم الروح.

(٨) زائدة فى ب.

(٩) فى أ: رسول الله.

اللاتى لم يطمثهن إنس - قبلهم[1] - ولا جان، والأنهار الجارية من لبن لم يتغير طعمه، ومن خمر لذة للشاربين، ومن ماء غير آسن، ومن عسل مصفى، وأمثالها من النعيم المقيم والسرور الدائم.

ونارهما نيران وحيات وعقارب - وحميم[2] - وغسلين وزقوم وزبانية غلاظ شداد.

للقلب جنة ونار:

وللقلب أيضًا جنة ونار أخر[3]: فجنته هى التى أشار - إليها[4] - رسول الله[5] صلى الله عليه وسلم، حاكيًا عن الله تعالى: «**أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[6]

وناره هى التى أشار إليها جل شأنه[7] بقوله: ﴿**نار الله الموقدة ● التى تطلع على الأفئدة**﴾[8].

(١) سقطت من ب.

(٢) سقطت من ب.

(٣) هكذا فى النسختين. والصواب أخريين.

(٤) سقطت من أ.

(٥) فى ب: (النبى) بدلا من رسول الله.

(٦) رواه البخارى من حديث أبى هريرة. وقد ذكر الغزالى هذا الحديث أيضًا فى الإحياء ٣٠٢/٤.

(٧) فى ب: وناره هى التى أشار الله تعالى بقوله.

(٨) سورة الهمزة: الآيتان ٦، ٧.

أنواع النار:

وهى ثلاثة أجناس:

(أ) نار فراق الشهوات:

إحداها: نار فراق شهوات الدنيا، فإن من أحب شيئًا هو فى يده فقلبه فى جنة، وإن لم يكن محبوبه فى يده فقلبه فى نار (فراق محبوبه)[1]. فمن أحب الدنيا ولذاتها فهو[2] فى جنة ما دام فى الدنيا. وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[3]. وهو فى الآخرة فى نار فراق محبوبه، فمثله كمثل ملك تملك[4] وجه الأرض فتمتع بمملكته - بالتنعم[5] بألوان النعم الطيبة والنظر إلى الجوارى الحسنة، والقصور المرتفعة المزخرفة[6] زمانا طويلا، فقهره[7] عدو له، فأسره، واستولى على مماليكه، وأمره بتعهد الكلاب بين يدى أهل مملكته، وباشر زوجاته وبناته، وأعطى نفائس ما فى خزانته من الجواهر والدرر أعداءه بحضرته. فلا شك أنه يصير معذبا بنار

(١) زائدة فى ب.

(٢) فى أ، ب: فهى.

(٣) رواه مسلم من حديث أبى هريرة. وقد ذكر الغزالى هذا الحديث فى الإحياء ١٩٧/٣ فى بيان ذم الدنيا.

(٤) فى أ: ملك.

(٥) سقطت من ب.

(٦) فى ب: المزخرفة المرتفعة.

(٧) فى أ: قهره.

فراق الملك والزوجات والأولاد - والجوارى[١] - والنعم على هذا الوجه، بحيث يتمنى أن يموت؛ فينجو من هذه الآلام التى أصابته من نار فراق المحبوبات. وكلما كانت المحبة أقوى والنعمة، كانت نار فراقها فى قلبه أحرق.

(ب) نار الحياء والفضيحة والخجل:

والنار الثانية: نار الحياء والفضيحة والخجالة[٢]. وأنا أبينها لك وأفهمها - لك[٣] - بأمثلة:

١ - (مثل)[٤] مرتكب الفواحش يوم القيامة كمثل خجالة رجل خسيس حقير، اختاره الملك الأعظم واتخذه وزيرًا لنفسه، وأذن له بالدخول فى حرمه أى وقت أراد، وسلم جميع خزائنه - إليه[٥] - واعتمد عليه فى جميع أموره؛ فبغى[٦] على الملك فى السر[٧]، وتصرف فى خزائنه تصرفا فاحشا، وفجر بأهله[٨]،

(١) زائدة فى ب.

(٢) المقصود الخجل، ولم يرد لفظ الخجالة فى المعاجم العربية، ومن بينها القاموس المحيط، ولسان العرب. والخجل هو الاسترخاء من الحياء، ويكون من الذل، ورجل خجل (بفتح الخاء وكسر الجيم) وبه خجلة (بفتح فسكون) أى حياء. والخجل التحير والدهش من الاستحياء (انظر: لسان العرب).

(٣) زائدة فى أ.

(٤) زيادة من المحقق.

(٥) زائدة فى أ.

(٦) فى أ، ب: (فبقى) وهو خطأ.

(٧) فى ب: الستر.

(٨) فى ب: بأهل حرمه.

وأفسد أموره، وخان أماناته[١]، وهو يروى[٢] من نفسه أنه حافظ لأمانات الملك. ثم رأى[٣] الملك يوما من الأيام ناظرًا - إليه[٤] - من ثقب فى جدار الحرم وهو مشتغل بالفساد والفجور بأهل حرمه[٥]، وتيقن هذا الرجل أن الملك كان يراه كل يوم[٦] هكذا - و[٧] - إنما أخر عقوبته وتعذيبه لتعظيم جنايته[٨]، وليستحق[٩] النكال العظيم.

فقدر كيف يكون حاله فى نار الخجالة والفضيحة والحياء. فكذلك من يرتكب محارم الله - تعالى[١٠] - مغترّا بستر الله - تعالى[١١] إياه، ويسوف التوبة إلى

(١) فى ب: أمانته.

(٢) فى أ: يرى.

(٣) فى ب: أتى.

(٤) زائدة فى ب.

(٥) فى ب: بزوجاته أو بعض بناته.

(٦) فى ب: فى كل يوم.

(٧) ساقطة من أ.

(٨) فى ب: خيانته.

(٩) فى أ، ب: يستحق. والزيادة من المحقق.

(١٠) زائدة فى ب.

(١١) ساقطة من ب.

أن يموت، فإنه يتحقق يوم القيامة أن الله تعالى - كان[1] - يراه حالة ارتكاب المعاصى، وإنما لم يعجل عقوبته؛ ليزداد شقاوة[2] ويعظم النكال عليه.

٢ - مثل آخر: رجل رمى أحجارًا كبارًا وصغارًا إلى وراء[3] حائط له، فقال له رجل: لا ترم هذه الأحجار وراء هذا الحائط، فإن أولادك ثمة قاعدون، ولك أفراس عربية، وإبل وأموال نفيسة وراءه؛ ورميك هذه الأحجار[4] وراء هذا الجدار يضر بأولادك[5] وأموالك. وهو لا يلتفت إلى نصيحة هذا الناصح، ويرمى الأحجار (ولا يبالى. ثم ذهب الرجل إلى بيته ورأى أن بعض ما رمى من الأحجار)[6] أصابت أعين بناته ورءوس أبنائه؛ فقتل بعضا[7] وأعمى بعضا، وأصاب بعضها يد فرسه فكسرها[8]، وبعضها عين ناقته فأعمتها.

(١) ساقطة من أ.

(٢) فى ب: شقاوته.

(٣) فى أ: واد.

(٤) فى ب: الحجارة.

(٥) فى ب: أولادك.

(٦) ما بين القوسين ساقط من ب.

(٧) فى أ: بعضه، أما فى ب فانظر الهامش التالى.

(٨) العبارة فى ب كما يلى: «.. فقأت أعينهن، وبعضها أصابت رءوس بنيه فماتوا بها، وبعضها أصابت يد فرسه فكسرتها».

فقدر كيف يخجل، وأى نار تقع فى قلبه من أجل صنيعه ذلك. فكذلك من حسد مسلما، وشتم آخر، وضرب آخر ظلما، وهو يظن أنه بحسده وشتمه وضربه أضر بمن حسده وشتمه وضربه. والعلماء يقولون له: لا تحسد أخاك المسلم، فإن حسدك إياه يبطل أعمالك. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»[1]. ولا تشتمه ولا تضربه ظلما؛ فإن الله تعالى يسألك عنه يوم القيامة، ويعذبك عليه. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من شتم مسلما**[2] **بغير حق فقد آذانى**». وهو لا يلتفت إلى نصيحة العلماء[3]، ويشتغل بالحسد وغيره[4]، ولا يبالى.

فإذا كان يوم القيامة تحقق وشاهد أن حسده مسلما وضربه وشتمه إياه قد أفسد عباداته[5] التى - هى[6] - أعز (حينئذ)[7] من بنيه وأعين بناته[8] ومن الدنيا وما فيها. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يؤتى بالدنيا يوم**

(١) رواه أبو داود من حديث أبى هريرة، ورواه ابن ماجه من حديث أنس. وقد ذكر الغزالى هذا الحديث فى الإحياء ١٨٣/٣ فى كلامه على ذم الحسد.

(٢) فى أ: مسلم. ولم نعثر على هذا الحديث باللفظ المذكور. ولكن هناك حديثًا قريبًا منه بلفظ: «من آذى مسلمًا فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله».

أخرجه الطبرانى فى الأوسط والصغير من حديث أنس رضى الله عنه.

(٣) فى ب: العالم.

(٤) فى ب: بالحسد والشتم والضرب.

(٥) فى ب: عبادته.

(٦) سقطت من أ.

(٧) سقطت من ب.

(٨) فى ب: وأعين من بناته وصحتها حينئذ (ومن أعين بناته).

القيامة على صورة عجوز قبيحة الصورة، بادية الأنياب، يتعوذ منها كل من ينظر إليها. فيقال: هذه الدنيا التى تقاتلتم عليها وتحاسدتم عليها». فيخجل محبوها حتى تمنوا أن يدخلوا[1] النار فرارًا من تلك الخجالة. ومن اغتاب أخاه المسلم فى الدنيا يرى نفسه يأكل لحم أخيه الميت وهو يعلم (أن الله تعالى يعلم)[2] أنه يأكل لحم أخيه. فانظر كيف يحترق قلبه بنار الخجالة والحياء والافتضاح.

٣ - مثل آخر: لو أن ملكا زوج ابنه امرأة من بنات الملوك[3]، وزفها إليه، فخرج الابن ليلة من عند العروس إلى الصحراء لقضاء الحاجة، وكان سكرانا[4]، فضل[5] عن حجرته التى فيها العروس، فخرج إلى بعض

(١) فى ب: يدخل. ولم يذكر الغزالى هذا الحديث فى كتاب ذم الدنيا فى الإحياء. وقد ورد حديث مماثل فى كتاب الجامع الكبير للسيوطى (الجزء الثانى ص ٤٨٠) من النسخة المصورة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ونصه: «يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء، أنيابها بادية، مشئونة خلقها فتشرف على الخلائق فيقال: تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال: هذه الدنيا التى تفاخرتم عليها، بها تقاطعتم وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم تقذف فى جهنم فتنادى أى رب، أين أتباعى وأشياعى، فيقول الله ألحقوا بها أتباعها وأشياعها». رواه ابن عباس، وقال السيوطى: أخرجه أبو سعيد الأعرابى فى الزهد.

(٢) سقطت من أ.

(٣) فى ب: الملك.

(٤) فى أ: وكان سكران.

(٥) فى ب: وضل.

الصحارى فوصل إلى بيت فيه[1] سراج، فظن أنه حجرته[2]، فدخل فيه، ورأى - فيه[3] - قوما مضطجعين على الأرض، فناداهم بأعلى صوته فلم يجبه منهم أحد[4]. فظن أنهم نائمون، فوجد واحدًا[5] منهم عليه لفافة جديدة. فقال: هذه هى العروس. فكشف اللفافة عنه، فوجد منه ريحًا طيبة. فقال: لا شك[6] أنها العروس. فباشرها إلى الصباح، وأدخل لسانه فى فيها، وأصاب وجهه منها رطبته[7]، فظن أنها تضرب فى وجهها ماء الورد[8]. فلما أصبح أفاق من سكره، ونظر فإذا هى[9] سرداب فيه موتى المجوس. وهذه التى ظن أنها العروس إنما هى عجوز قبيحة الصورة ماتت فى ذلك اليوم. والريح الرطبة التى وجدها منها[10] فهى من الحنوط الذى عليها، والرطوبة التى أصابته نجاسات قد تلطخ بها وجهه ولحيته وسائر أعضائه وثيابه. ووجد[11] فى فمه وحلقه من فم

(١) فى أ: فيها.

(٢) فى ب: فظنه حجرته.

(٣) سقطت من ب.

(٤) فى ب: أحد منهم.

(٥) فى أ: واحد.

(٦) سقطت من ب.

(٧) فى ب: رطبة.

(٨) وردت العبارة فى ب كما يلى: «وظن أن ما أصاب وجهه ماء الورد».

(٩) فى ب: هو.

(١٠) فى أ: وجد منها.

(١١) فى ب: وجد.

العجوز مرارة شديدة. فكاد[١] أن يموت من الفضيحة والخجالة ساعتين، وخاف أن يراه الناس على هذه الحالة. فرأى أباه الملك قد ركب ومعه أمراؤه ونوابه[٢] وقضاته وحشمه قد خرج فى طلبه، فوجده على تلك الحالة.

فقدر كيف يكون حياؤه[٣] من أبيه وممن بحضرته[٤]. وكيف يفتضح وكيف يخجل؟ فكذلك الذين آثروا الحياة الدنيا على الدين يجدون أنفسهم يوم القيامة عند الله، وعند الأنبياء والمرسلين (والشهداء والصديقين)[٥]، وعند الأصدقاء - والأحباء[٦] - والأعداء متلوثين[٧] بنجاسات الآثام، مقرنين بالسلاسل مع الشياطين[٨] مسودة وجوههم بسواد إيثار محبة الدنيا على الله - تعالى -[٩]:

فقدر كيف يفتضح ويخجل - فى تلك الحالة -[١٠].

---

(١) فى أ: فكان.

(٢) فى ب: وبوابه.

(٣) فى أ: حياء وفى ب حيائه.

(٤) فى ب: وممن بحضرته أبيه.

(٥) ما بين القوسين ساقط. من ب.

(٦) سقطت من ب.

(٧) فى أ: ملوثا.

(٨) فى أ: مع شياطين.

(٩) زائدة فى ب.

(١٠) سقطت من أ.

(جـ) نار الحرمان من رؤية الله:

والنار الثالثة نار الحرمان عن رؤية الله تعالى[١]. فأعرفك هذه النار بمثال: وهو أن رجالا مسافرين ضلوا الطريق فى جوف الليل المظلم. فأدركوا واديًا صعبًا فيه أحجار صغار وكبار، وحصى لها ألوان عجيبة فقال بعض القوم: إنا كنا نسمع من الثقات أن أمثال[٢] هذه الأحجار والحصى فيها منافع عظيمة وخواص لطيفة؛ فخذوا منها ما استطعتم. فأخذ منها بعض القوم، ولم يأخذ البعض شيئًا. وجعل الذين لم يأخذوا منها يسخرون من الذين حملوا منها، وينسبونهم إلى[٣] الجهل والحماقة، ويقولون: من كان عاقلا كيسًا فإنه يمشى فارغًا مستريحًا عن حمل أحجار لم يدر نفعها. ومن كان جاهلا أحمق فإنه يجعل نفسه حمارًا يحمل عليه أحجارًا وهو يطمع شيئًا محالا. فساروا[٤] إلى الصبح وبعدوا فى الوادى[٥]. فلما أصبحوا وطلعت الشمس نظروا إلى الأحجار والحصى فإذا هى جواهر ويواقيت حمر ودرر قيمة كل واحد[٦] منها - يساوى[٧] - مائة ألف دينار أو أكثر فندموا على أنهم لم يأخذوا أكثر[٨] مما أخذوا.

---

(١) فى ب: «نار الحرمان عن رؤية الله تعالى: هو العمى والجهل بمعرفة الله تعالى. فأعرفك...».

(٢) فى ب: نسمع من الثقات مثال هذه الأحجار.

(٣) فى أ: بدون (إلى).

(٤) فى أ: فصاروا.

(٥) فى ب: وبعدوا عن وادى الأحجار.

(٦) فى ب: واحدة.

(٧) زيادة من المحقق.

(٨) فى أ: أو أكثر.

فأما الذين لم يأخذوا منها شيئًا[1] فقد وقع - فى[2] - قلوبهم نيران الحسرة والندامة والخسران[3]. فاشترى الذين أخذوا منها - بما أخذوا[4] - مدائن وقصورًا (عالية)[5]، وتمتعوا فيها بما اشتهت أنفسهم، وبقى الآخرون فقراء حفاة عراة[6]، ويتكففون الناس. فالعبادات الواردة عن حضرة الرسول[7] - هى[8] - أمثلة الجواهر واليواقيت والدرر، والدنيا هى الوادى المظلم[9]، والموت هو مثل طلوع الشمس، والمؤمنون هم (أمثلة)[10] الذين أخذوا الجواهر (واليواقيت والدرر)[11] - وتحملوا المشاق فى حملها[12] - والمنافقون والكفار هم أمثلة الذين لم يأخذوا - منها[13] - بل سخروا - من[14] - الذين أخذوا[15]

(١) فى ب: فأما الذين يأخذوا منها فقد إلخ.
(٢) سقطت من أ.
(٣) فى ب: والحرمان.
(٤) زيادة فى ب.
(٥) زيادة فى ب.
(٦) فى ب: وعراة.
(٧) فى أ، ب: عن حضرت الرسالة.
(٨) سقطت من ب.
(٩) فى ب: هى مثل ظلمة الليل. وفى (أ) هى الوادى المظلمة.
(١٠) سقطت من أ.
(١١) سقطت من أ.
(١٢) سقطت من ب.
(١٣) سقطت من أ.
(١٤) زيادة من المحقق.
(١٥) عبارة (بل سخروا من الذين أخذوا) ساقطة من ب.

- فيقولون يوم القيامة للمؤمنين: ﴿**انظرونا نقتبس من نوركم**﴾[1]. فيقال لهم: ﴿**ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا**﴾[2]؛ ويقولون: ﴿**أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله**﴾[3] فيقولون لهم: ﴿**إن الله حرمهما على الكافرين**﴾[4]. فتعظم حسرتهم، وتشتد نار المحرومية على قلوبهم. وكيف لا، وقد شاهدوا ما صب الله - تعالى[5] - على المؤمنين من أنواع السعادات والنعم والكرامات[6] التى لا تتقابل (نعم)[7] الدنيا وما فيها بنعمة واحدة - منها[8] - فيكون نصيب أدنى رجل - منهم[9] - منزلة فى الجنة عشرة[10] أمثال الدنيا. وهذه المماثلة ليست من حيث المسافة - و[11] - المقدار، بل من حيث روح النعمة وهو السرور والتلذذ بها كما يقال: هذه الدرة[12] مثل مائة دينار، أى فى القيمة، وروح المالية - لا[13] - فى الوزن والمساحة.

(١) سورة الحديد: الآية ١٣، وقد سقط ذلك من ب.
(٢) سورة الحديد: الآية ١٣، وقد سقط ذلك من ب.
(٣، ٤) سورة الأعراف: الآية ٥٠. وقد ورد ذلك فى ب كما يلى: ﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾، فيقول لهم المؤمنون: ﴿إن الله حرمهما على الكافرين﴾.
(٥) سقطت من أ.
(٦) فى ب: من أنواع السعادات والنعمة.
(٧) سقطت من ب.
(٨) سقطت من ب.
(٩) سقطت من ب.
(١٠) فى ب: معشر.
(١١) سقطت من أ.
(١٢) فى ب: الدار.
(١٣) سقطت من ب.

جنة القلوب:

وأما جنة القلوب فرؤية الله تعالى بالأبصار فى دار القرار، ومشاهدة جمال الذات ومعاينة كمال الصفات، ومطالعة كلامه[١] القديم بلا واسطة لوح وقلم وحروف وأصوات، والتمتع بآياته، والتلذذ بمناجاته فى حياته وساعاته. ﴿**أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار**﴾[٢].

ومثل جنة الجسد وناره بالنسبة إلى جنة القلب[٣] وناره كمثل صغير مات أبوه العالم ذو المناصب السنية والمراتب العلية فى أنواع العلوم. فقيل له: تعلم العلوم التى كان يعلمها أبوك، فإنك إن تعلمتها نلت شرف مناصب أبيك؛ ولو تركت التعلم لفات عنك شرف - تلك[٤] - المناصب العلية. فإنه لا يشتغل بالتعلم، لأنه[٥] لا يفهم نعمة ما وعدوه ومحنة ما أوعدوه، لأن الصبى بمعزل عن إدراك حلاوة المناصب، وإن بينها العارفون عند الصبى كالعنين ينكر حلاوة الجماع وإن بينها الفحول بمحضر من العنين.

---

(١) فى ب: كلام.

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٥.

(٣) فى ب: القلوب.

(٤) سقطت من ب.

(٥) فى ب: فإنه.

ولو قيل للصبى: إن تعلمت نعطيك الجوز والعسل، ونلبسك الثوب الأحمر والأبلق[١]، وإن تركت التعلم (نضربك ضربًا شديدًا)[٢] ويضربك معلمك، فإنه ينبعث إلى الاشتغال بالتعلم. وإن كانت[٣] نعيمية[٤] الجوز والعسل والثوب الأحمر والأبلق، ومحنية ألم الضرب معدومة عند نعيمية إدراك مناصب العلوم ومحنية فوات المناصب (العلية)[٥] فكذلك الإنسان فى ابتداء بلوغه أو فى أول إسلامه قاصر العقل. فلو قال له صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم[٦]: إن عملت[٧] الصالحات وأنت مؤمن ترى الله - تعالى[٨] - بعين بصرك[٩] فى الآخرة بلا كيف ولا تشبيه، لا فى مكان ولا فى زمان ولا فى جهة ولا فى صورة[١٠]، ولا بمقابلة بينك وبينه - تعالى[١١] - ولا بلون[١٢] ولا بقرب مسافة

---

(١) البلق: سواد وبياض ومنه فرس أبلق.

(٢) ساقطة من ب.

(٣) فى النسختين: وإن كان.

(٤) فى أ نعميته.

(٥) سقطت من ب.

(٦) فى ب: صاحب الشرع عليه من التسليمات أصفاها ومن التحيات أزكاها.

(٧) فى أ: إن تعلمت.

(٨) زائدة فى ب.

(٩) فى ب: يبصرك.

(١٠) فى ب: ولا بصورة ولا بلون.

(١١) زائدة فى ب.

(١٢) فى أ: ولا لون. أما فى ب فقد ذكر قوله (ولا بلون) قبل ذلك. انظر الهامش قبل السابق.

ولا بعدها. وإن كفرت بالله - تعالى[1] - واليوم الآخر احترق قلبك بنار الإياسة عن حلاوة[2] رؤية الله تعالى فإنه ينكر مثل هذه الرؤية ولا ينبعث إلى الإيمان والأعمال الصالحة.

وإذا قيل له: إن آمنت بالله وعملت الأعمال الصالحة يدخلك الله جنة[3] تجرى من تحتها الأنهار، وفيها حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون. وإن كفرت بالله - تعالى[4] - واليوم الآخر يدخلك الله نارًا فيها حيات وعقارب وزبانية، فإنه ينبعث إلى الإيمان بالله والأعمال الصالحات[5]. طمعًا فى الجنة وحذرًا عن النار، لأنه يفهمها ويفهم ما فيها بأول وهلة. وإن كان نعيم الجنة وألم الاحتراق بالنار معدومين فى جنب رؤية الله وفى - جنب[6] - رؤية ألم الحرمان. وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين[7].

(١) سقطت من ب.

(٢) فى ب: حوالة.

(٣) فى ب: يدخلك الجنة.

(٤) سقطت من أ.

(٥) فى ب: الصالحة.

(٦) سقطت من أ.

(٧) فى ب: وردت العبارة على النحو التالى: «فى جنب رؤيته عز وجل وفى جنب ألم الحرمان عن رؤية الله الملك المتعال والله الموفق بما هو اللائق بكرمه الفائق».

نسخت[1] بعون الله وحسن توفيقه بعد صلاة الظهر - على النسخة التى كتبها قطب العارفين ومنجى الهالكين الشمس الدين السيداسى قدس سره وقدس الله أرواح أسلافه فى طريقته من المشايخ ومن تبعه إلى يوم الدين. وأنا العبد المذنب المحتاج والراجى عفو ربه العافى ابن الشيخ محمد محمد أمين - يوم السبت السابع من شهر شوال المكرم فناء أبا صوفية[2] الكبيرة فى دار السلطنة العلية لسنة ١٠٧٩هـ[3].

(١) الكلمة فى الأصل يحتمل أن تقرأ أيضًا (تمت).

(٢) نرجح قراءتها على هذا النحو وإن كان رسمها غير واضح إذ وردت فى الأصل هكذا (فناء أيا صنوفيه) بدون تنقيط فى حرف يا.

(٣) ورد ختام النسخة ب كمايلى: «تمت الرسالة المباركة عن يد الفقير إليه محمد سالك سلكه الله تعالى أحسن المسالك - وذلك فى شهر ذى الحجة سنة سبع وستين ومائة وألف (وردت ألف فى الأصل بدون الواو) من هجرة من له العز والشرف». ثم كتب الناسخ الملحوظة التالية: «قابلت هذه النسخة بنسخة قريبة إلى الصحة فصارت قابلة إلى المطالعة».

فهرس تفصيلى

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
تصدير عام	٥
الرسالة الأولى: رسالة فى بيان معرفة الله	٩
تمهيد	١١
نسبة الرسالة للإمام الغزالى	١٢
مضمون الرسالة	١٣
نص الرسالة	١٥-٢٢
الرسالة الثانية: رسالة فى المعرفة	٢٣
تمهيد	٢٥
مضمون الرسالة	٢٧
نسبة الرسالة للإمام الغزالى	٢٩
نص الرسالة	٣١-٦٥
تقسيم المعرفة	٣١
علاقة العلم بالعمل	٣١
حقيقة النفس	٣٢
صفات النفس	٣٢
صورة النفس	٣٣
موضوع النفس من البدن	٣٤
هواجس النفس ووساوس الشيطان	٣٥

الموضوع	الصفحة
علامة من غايته تأديب نفسه	٣٦
أقسام النفس	٣٧
فى اختيار الأصحاب	٣٨
أى شىء تشبهه النفس؟	٣٨
علامات التائبين والزاهدين والعارفين	٣٩
الصفات الإلهية	٣٩
أخص وصف الإله	٤١
أصناف العارفين	٤١
حقيقة المعرفة	٤٣
علامة العارف	٤٦
شروط معرفة الله	٤٧
الفرق بين العبادة والعبودية	٤٨
فصل فى حجاب العبد عن ربه	٤٨
حقيقة الدنيا	٤٨
الجنة	٤٩
الرؤية	٤٩
الخدمة والحرمة	٤٩
فصل فى الهمة والإرادة والمنية	٥٠
فصل فى التجريد والتفريد	٥١
فصل فى المجاهدة والمكاشفة والمشاهدة	٥٢
فصل فى الأدب والهيبة والتعظيم	٥٣

الموضوع	الصفحة
فصل فى الخواطر	٥٤
التوحيد والمعرفة والإيمان والإسلام	٥٥
فصل فى بيان الشريعة والحقيقة	٥٥
فصل فى الحكمة	٥٦
فصل فى الفناء والبقاء	٥٧
فصل فى الذكر	٥٨
من هو الولى؟	٦٠
فصل فى الابتداء والانتهاء	٦١
فصل فى البلاء	٦٢
فصل فى السكر	٦٣
عود إلى أقسام النفس	٦٤
الرسالة الثالثة: رسالة فى معرفة النفس	٦٧
تقديم الرسالة	٦٩
نسبة الرسالة للغزالى	٧٣
نص الرسالة:	٧٧–١١٧
مبنى الإسلام	٧٧
الأصل الأول والثانى: معرفة النفس ومعرفة الله	٧٧
مم يتكون الإنسان؟	٧٨
مزية القلب على الجسد	٨٢
الجسد مسخر للقلب	٨٣
الأخلاق	٨٤

الموضوع	الصفحة
أنواع الأخلاق	٨٦
الإنسان مطالب بأخلاق الملائكة	٨٨
الأصل الثالث: معرفة الدنيا	٩٠
الإنسان بين الكمال والنقص	٩١
احتياجات الجسد	٩٢
الشهوة والعقل	٩٣
الحاجة إلى الصناعات	٩٣
الحاجة إلى الاجتماع	٩٤
تهالك الإنسان على الدنيا	٩٤
الأصل الرابع: معرفة الآخرة	٩٥
الـــروح: ١ - الروح الحيوانية	٩٦
٢ - الروح الروحانية	٩٩
للجسد جنة ونار	١٠١
للقلب جنة ونار	١٠٢
أنواع النار:	
(أ) نار فراق الشهوات	١٠٣
(ب) نار الحياء والفضيحة والخجل	١٠٤
(جـ) نار الحرمان من رؤية الله	١١١
جنة القلوب	١١٤
فهرس تفصيلى	١١٩

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر